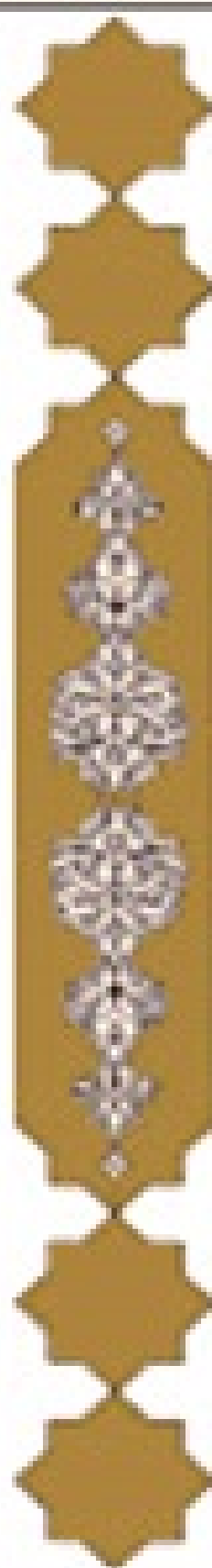


أَهْلُ الْبَيْتِ

سَيِّدَانَهُمَا وَحَقِيقَتُهُمَا
فِي الْمِثْرَانِ الْكَرِيمِ

بِالْمِثْرَانِ
بِالْمِثْرَانِ الْكَرِيمِ
الْمِثْرَانِ الْكَرِيمِ

عَرَفَتْهُمَا وَحَقِيقَتُهُمَا
فِي الْمِثْرَانِ الْكَرِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اهل البيت سماتهم و حقوقهم فى القرآن الكريم

کاتب:

جعفر سبحانى

نشرت فى الطباعة:

موسسه امام صادق (ع)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٨	اهل البيت سماتهم و حقوقهم فى القرآن الكريم
٨	اشاره
٨	المقدمة
٨	اهل البيت سماتهم و حقوقهم
٩	من هم أهل البيت
٩	اشاره
٩	اهل البيت لغة وعرفا
١٠	اهل البيت فى الآيه المباركه
١٠	اشاره
١١	اللام فى اهل البيت للعهد
١٢	تذكير الضمائر
١٢	الارادة تكوينية لا تشريعية
١٣	اهل البيت فى كلام النبى الاكرم
١٣	اشاره
١٣	التصريح بأسمائهم
١٤	ادخالهم تحت الكساء
١٥	تعيينهم بتلاوة الآيه على بابهم
١٥	اشاره
١٧	نزولها فى نسائه
١٨	و اما عكرمة
١٩	عروة بن الزبير
١٩	مقاتل بن سليمان

- ٢٠ مشكله السياق؟
- ٢٢ ما هو السر فى جعلها جزءا من آية اخرى
- ٢٣ نظريات اخرى فى تفسير اهل البيت
- ٢٤ اهل البيت فى الادب العربى
- ٢٤ الشيعة و آية التطهير
- ٢٧ سمات أهل البيت
- ٢٧ اشاره
- ٢٧ العصمة
- ٢٧ اشاره
- ٢٧ ما هو المراد من الرجس؟
- ٢٧ اشاره
- ٢٨ المنفى مطلق الرجس
- ٢٨ هل الارادة فى الآيه تكوينية أم تشريعية؟
- ٢٨ اشاره
- ٣٠ اسئلة و اجوبة
- ٣٠ اشاره
- ٣٠ هل الارادة التشريعية تتعلق بفعل الغير؟
- ٣١ هل الارادة التكوينية توجب سلب الاختيار؟
- ٣٣ هل العصمة الموهوبة مفخرة؟
- ٣٣ هل الآيه تدل على فعليه التطهير؟
- ٣٤ هل الازهاب يستلزم الثبوت؟
- ٣٤ المحبة فى قلوب المومنين
- ٣٥ استجابة دعائهم
- ٣٦ ابتغاء مرضاء الله تعالى

٣٧	الايثار
٣٨	هم خير البرية
٣٩	اهل البيت ورثة الكتاب
٤١	حرمة الصدقة عليهم
٤١	حقوق اهل البيت فى القرآن الكريم
٤١	اشاره
٤١	ولايه اهل البيت
٤٣	اهل البيت و ضرورة اطاعتهم
٤٥	وجوب مودتهم و حبهم
٤٨	الصلوات عليهم
٥٠	دفع الخمس اليهم
٥١	الفىء لاهل البيت
٥٢	الانفال لاهل البيت
٥٣	ترفيه بيوتهم
٥٤	اهل البيت فى كلام الامام على
٥٤	پاورقى
٥٧	تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

اهل البيت سماتهم و حقوقهم في القرآن الكريم

إشارة

سرشناسه : سبجانی تبریزی جعفر، - ١٣٠٨ عنوان و نام پدیدآور : اهل البيت سماتهم و حقوقهم في القرآن الكريم تالیف جعفر السبجانی مشخصات نشر : قم موسسه الامام الصادق ع ، ١٤٢٠ق = ١٣٧٨. مشخصات ظاهری : ص ١٨٣ شابک : ٩٦٤-٦٢٤٣-٧٩-٧ ؛ ٩٦٤-٦٢٤٣-٧٩-٧ وضعيت فهرست نویسی : فهرست نویسی قبلي يادداشت : عربی يادداشت : چاپ دوم ١٤٢٥ق = ١٣٨٣ يادداشت : کتابنامه به صورت زیر نویس موضوع : خاندان نبوت موضوع : عصمت موضوع : خاندان نبوت -- جنبه های قرآنی شناسه افزوده : موسسه امام صادق ع رده بندی کنگره : BP٣٦/س١٥ الف ٨٧ رده بندی دیویی : ٢٩٧/٩٥ شماره کتابشناسی ملی : م٧٨-٢٢٤٤٥

المقدمة

الحمد لله باري النسم، وسابغ النعم، والصلاة والسلام على أفضل خلقه، وأشرف بريته، أبي القاسم محمد، وعلى آله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. أما بعد؛ لقد حاز أهل البيت (عليهم السلام) على أهمية بالغة في القرآن الكريم، وأشار إليهم في غير واحد من آياته ببيان سماتهم، وحقوقهم، وما يمت إليهم بصله، لا سيما آية التطهير المعروفة بين المسلمين، أعني: قوله سبحانه: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا). ولأجل أهمية الموضوع ألفت غير واحد من علماء الفريقين كتباً ورسائل حولها، أفاضوا فيها الكلام حول هوية أهل البيت ومناقبهم وفضائلهم. وقد استرعى انتباهي في الفترة الأخيرة كتابان حول أهل البيت: أحدهما: «حقوق أهل البيت (عليهم السلام)» لابن تيمية (المتوفى عام ٧٢٨هـ)، والآخر: «الشيعه وأهل البيت» للكاتب المعاصر إحسان إلهي ظهير حيث بذلا الوسع لبيان نزول الآية في نساء النبي ص، و الكتاب الثاني أشدّ بخساً في هذا المجال. وقد أنصف الكتاب الأول بعض الإنصاف. هذا وذاك ممّا دعاني إلى تقديم هذا الكتاب الماثل بين يديك الذي يبين هوية أهل البيت من خلال القرائن الموجودة في الآية والروايات المتضافرة، مضافاً إلى بيان سماتهم وحقوقهم عسى أن يجبر بعض ما هضم من حقوقهم في دينك الكتابين خصوصاً الكتاب الأخير. وأود أن أشير في الختام إلى نكتة وهي أنّ آية التطهير لحنها لحن الثناء والتمجيد على أهل البيت (عليهم السلام) في حين أنّ لحن الآيات الواردة في نساء النبي ص النصح والوعظ تارة، والتنديد والتوبيخ أخرى. [صفحہ ٦] أما الأول فكما في الآيات الواردة في سورة الأحزاب. يقول سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرْذَنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَنَعَالَيْنَ أُمَتِّعُكُمْ وَأَسْرَحُكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا). [١]. (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا). [٢]. (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا). [٣]. (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ). [٤]. وأما الثاني أي التنديد والتوبيخ ففي الآيات الواردة في سورة التحريم: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاءَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ). [٥]. (إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ). [٦]. (عَسَى رَبُّهُ إِذْ تُخَالَفُنَّ أَنْ يُدْهِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا). [٧]. فأُمّهات المؤمنين كسائر الصحابات لهنّ من الفضل ما لغيرهنّ، ولكن آية التطهير بلغت من الثناء على أهل البيت بمكان تأبى من الانطباق عليهن بما عرفت لهنّ من السمات في الآيات وستوافيك دلالة الآية على عصمة أهل البيت وتنزيههم من الزلل والخطأ. [صفحہ ٧]

اهل البيت سماتهم و حقوقهم

لقد وردت لفظه «أهل البيت» مرتين فى القرآن الكريم. قال سبحانه حاكياً عن لسان الرسل: (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ). [٨]. وقال تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَاطْعَنَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً). [٩]. فالآية الأولى تخاطب أهل بيت خليل الله عند ما جاءتهم الرسل فبشّروا امرأته بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب. ولما كانت هذه البشارة على خلاف السنن الكونية حيث كان الخليل شيخاً وزوجته طاعنة فى السن، فلذلك تعجبت وقالت مخاطبة الرسل: (يَا وَيْلَتَى أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلَى شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) [١٠] فوافاها [صفحة ٨] الجواب من جانب الرسل الذين كانوا ملائكة وتمثلوا بصورة الإنسان، قائلين: (أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أنه حميد مجيد). وأما الآية الثانية فقد وردت فى ثنايا الآيات التى نزلت فى شأن نساء النبى ص بدعوتهن إلى التخلّى عن الدنيا والتخلّى بالتقوى إلى غير ذلك من الوصايا التى وردت ضمن آيات. [١١]. والمهم فى هذا المقام هو معرفة أهل البيت فى الآية الثانية وما هى سماتهم وحقوقهم فى الذكر الحكيم؟ فهناك مباحث ثلاثة: من هم أهل البيت (عليهم السلام)؟ وماهى سماتهم؟ وماهى حقوقهم؟ وها نحن نقوم بدراسة هذه المواضيع فى فصول ثلاثة مستمدين من الله العون والتوفيق. [صفحة ٩]

من هم أهل البيت

إشارة

إنّ المعروف بين المفسرين والمحدّثين، هو أنّ المراد من أهل البيت فى الآية المباركة، العترة الطاهرة الذين عرفهم الرسول ص فى حديث الثقلين، وقال: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ، وَعِترَتِي». غير أنّ تحقيق مفاد الآية وتبيين المراد من أهل البيت فيها وانطباقها على حديث الثقلين يستدعى البحث فى موردتين: أ. أهل البيت لغة وعرفاً. ب. أهل البيت فى الآية المباركة. وإليك الكلام فيهما واحداً تلو الآخر. [صفحة ١٠]

أهل البيت لغة وعرفاً

هذا اللفظ مركب من كلمتين ولكل مفهوم، ويمكن تحديد مفهوم «الأهل» من موارد استعماله فيقال: ١. أهل الأمر والنهى. ٢. أهل الإنجيل. ٣. أهل الكتاب. ٤. أهل الإسلام. ٥. أهل الرجل. ٦. أهل الماء. وهذه الموارد توقفتنا على أنّ كلمة «أهل» تستعمل مضافاً فيمن كان له علاقة قوية بمن أُضيف إليه، فأهل الأمر والنهى هم الذين يمارسون الحكم والبعث والزجر، وأهل الإنجيل هم الذين لهم اعتقاد به كأهل الكتاب وأهل الإسلام. وقد اتفقت كلمة أهل اللغة على أنّ الأهل والآل كلمتان بمعنى واحد، قال ابن منظور: آل الرجل: أهله، وآل الله وآل رسوله: أوليآؤه، أصلها أهل ثم أبدلت الهاء همزة فصارت فى التقدير آل، فلما توالى الهمزتان أبدلوا الثانية ألفاً، كما قالوا: آدم وآخر، وفى الفعل آمن وآزر. وقد أنشأ عبد المطلب عند هجوم ابرهه على مكة المكرمة، وقد أخذ حلقة باب الكعبة وقال: وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك وعلى ما ذكرنا، فهذا اللفظ إذا أُضيف إلى شىء يقصد منه المضاف الذى له علاقة خاصة بالمضاف إليه، فأهل الرجل مثلاً هم أخص الناس به، وأهل المسجد، المترددون كثيراً إليه، وأهل الغابة القاطنون فيها... فإذا لاحظنا موارد [صفحة ١١] استعمال هذه الكلمة لا- تتردد فى شمولها للزوجة والأولاد، بل وغيرهم ممن تربطهم رابطة خاصة بالبيت من غير فرق بين الأولاد والأزواج، ولأجل ذلك ترى أنّه سبحانه يطلقه على زوجة إبراهيم كما عرفت فى الآية. هذا هو حق الكلام فى تحديد مفهوم هذه الكلمة، ولنأت ببعض نصوص أئمة اللغة. قال ابن منظور: أهل البيت سكانه، وأهل الرجل أخص الناس به، وأهل بيت النبى: أزواجه وبناته وصهره، أعنى: علياً (عليه السلام)، وقيل: نساء النبى والرجال الذين هم آله. [١٢]. فلقد

أحسن الرجل فى تحديد المفهوم أولًا، وتوضيح معناه فى القرآن الكريم ثانيًا، كما أشار بقوله: «قيل» إلى ضعف القول الآخر، لأنه نسبه إلى القيل. وقال ابن فارس ناقلًا عن الخليل بن أحمد: أهل الرجل: زوجته، والتأهل، التزوج، وأهل الرجل: أخص الناس به، وأهل البيت: سكّانه، وأهل الإسلام: من يدين به. [١٣]. وقال الراغب فى «مفرداته»: أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو ما يجرى مجراهما من صناعة وبيت وبلد، فأهل الرجل فى الأصل من يجمعه وإياهم مسكن واحد، ثم تجوز به ف قيل: أهل بيت الرجل لمن يجمعه وإياهم النسب وتعرف فى أسرة النبى عليه الصلاة والسلام مطلقًا إذا قيل أهل البيت. [١٤]. وقال الفيروز آبادى: أهل الأمر: ولاته، ولبيت سكّانه، وللمذهب من يدين به، وللرجل زوجته كأهله، وللنبى أزواجه وبناته وصهره على - رضى الله [صفحة ١٢] تعالى عنه - أو نساؤه والرجال الذين هم آله. [١٥]. هذه الكلمات ونظائرها بين أعلام أهل اللغة كلّها تعرب عن أنّ مفهوم أهل البيت فى اللغة هم الذين لهم صلة وطيدة بالبيت، وأهل الرجل من له صلة به بنسب أو سبب أو غيرهما. هذا هو الحق الذى لا مريه فيه والعجب من إحسان إلهى ظهير الذى ينقل هذه النصوص من أئمة اللغة وغيرهما ثم يستظهر أنّ أهل البيت يطلق أصلاً على الأزواج خاصة، ثم يستعمل فى الأولاد والآقارب تجوزًا، ثم يقول: هذا ما ثبت من القرآن الكريم كما وردت هذه اللفظة فى قصة إبراهيم بالبشرى، فقال الله عزّ وجلّ فى سياق الكلام: (وَأَمْرُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ - قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلى شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ - قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ) [١٦] وقال: فاستعمل الله عزّ وجلّ هذه اللفظة على لسان ملائكته فى زوجة إبراهيم (عليه السلام) لا غير، وهكذا قال الله عزّ وجلّ فى كلامه المحكم فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام: (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا) [١٧]، فالمراد من الأهل زوجة موسى (عليه السلام)، وهى بنت شعيب. [١٨]. نحن نسأل الكاتب من أين استظهر من كلمات أهل اللغة أنّ «الأهل» تطلق [صفحة ١٣] أصلاً على الأزواج خاصة، ثم تستعمل فى الأولاد تجوزًا؟! أليس قد تقدّم لنا كلام ابن منظور: أهل الرجل: أخص الناس به؟! أليس الأولاد أخص الناس بالرجل؟ ومن فسر به بقوله: أهل الرجل زوجته لا يريد اختصاصه بالزوج، بل يشير إلى أحد موارد استعماله، ولأجل ذلك يستدركه ويصرح بقوله: أهل الرجل: أخص الناس به. ثم نسأله عن دلالة الآيتين على اختصاص الأهل بالآزواج وهل فى منطق اللغة والأدب جعل الاستعمال دليلًا على الانحصار؟ فلا شك أنّ الأهل فى الآيتين أطلق على الزوجة، وليس الإطلاق دليلًا على الانحصار، على أنه أطلق فى قصة الخليل وأريد الزوجة والزوج معًا، أى نفس الخليل بشهادة قوله تعالى: (عليكم أهل البيت) والآيتان بضمير الجمع المذكور، وإرادة واحد منهما وحمل الخطاب العام على التعظيم، لا وجه له فى المقام. وحصيلته الكلام: أنّ مراجعة كتب اللغة، وموارد استعمال الكلمة فى الكتاب والسنة تعرب عن أنّ مفهوم «الأهل» هو المعنى العام وهو يشمل كل من له صلة بالرجل والبيت صلة وطيدة مؤكدة من نسب أو سبب أو غير ذلك، من غير فرق بين الزوجة والأولاد وغيرهم، وإنّ تخصيصها بالزوجة قسوة على الحق، كما أنّ تخصيصها لغه بالآولاد وإخراج الأزواج يخالف نصوص القرآن واستعمالها كما عرفت فى الآيات الماضية. هذا هو الحق فى تحديد المفهوم، فهلمّ معى نبحت عما هو المراد من هذا المفهوم فى الآية الكريمة، وهل أريد منه كل من انتهى إلى البيت من أزواج وأولاد أو أنّ هناك قرائن خاصة على أنّ المقصود قسم من المتممين إليه؟ وليس هذا بشيء غريب، لأنّ المفهوم العام قد يطلق ويراد منه جميع الأصناف [صفحة ١٤] والأقسام كما يطلق ويراد منه حسب القرائن بعضهم، وقد عرفت أنّ المراد من الأهل فى قصة موسى وزوجته وفى قصة إبراهيم وزوجته، وعلى هذا لا شك فى شمول كلمة أهل البيت للزوجة والأولاد وغيرهما إلّا أنّ تقوم قرائن على أنّ المراد صنف خاص، والمدعى أنّه قد قامت القرائن على إرادة صنف خاص منهم، وتبيّن فى البحث الآتى:

أهل البيت فى الآية المباركة

اختلف المفسرون فى بيان ما هو المراد من «أهل البيت» فى الآية المباركة على أقوال، غير أن العبرة بقولين، والأقوال الآخر شاذة لا يعبأ بها، وأنما اختلفت لحل الإشكالات الواردة على القول الثانى كما سيوافيك بيانها فى آخر البحث. ١. المراد بنت النبى وصهره وولدهما الحسن والحسين (عليهم السلام). ٢. نساء النبى «صلى الله عليه وآله وسلم». [١٩]. ولا بد من إمعان النظر فى تعيين المراد بعد قابلية اللفظ لشمول كلتا الطائفتين، فيقول: إن هناك قرائن تدل بوضوح على أن المراد من هذه الكلمة جماعة خاصة منتمين إلى البيت النبوى بوشائج خاصة لا كل المنتمين إليه، وإليك تلك القرائن:

اللام فى أهل البيت للعهد

لا شك أن اللام قد تطلق ويراد منها الجنس المدخول كقوله سبحانه: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفَى خُسْرٍ). [٢٠]. وقد يطلق ويراد منها استغراق أفراد كقوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ). [٢١]. وثالثة تستعمل فى العهد باعتبار معهودية مدخولها بين المتكلم والمخاطب. ولا يمكن حمل اللام فى «البيت» على الجنس أو الاستغراق، لأن الأول أنما يناسب إذا أراد المتكلم بيان الحكم المتعلق بالطبيعة كما يعلم من تمثيلهم لذلك بقوله تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا) [٢٢]، ومن المعلوم أن الآية الكريمة ليست بصدد بيان حكم طبيعة أهل البيت، كما لا يصح أن يحمل على العموم، أى: جميع البيوت فى العالم، أو بيوت النبى، وإلا- لناسب الإتيان بصيغة الجمع فيقول: أهل البيوت، كما أتى به عندما كان فى صدد إفادة ذلك، وقال فى صدر الآية: (وقرن فى بيوتكن). فتعين أن يكون المراد هو الثالث، أى البيت المعهود، فالآية تشير إلى إذهاب الرجس عن أهل بيت خاص، معهود بين المتكلم والمخاطب، وحينئذ يقع الكلام فى تعيين هذا البيت المعهود، فما هو هذا البيت؟ هل هو بيت أزواجه، أو بيت فاطمة وزوجها والحسن والحسين (عليهم السلام)؟ لا سبيل إلى الأول، لأنه لم يكن لأزواجه بيت واحد حتى تشير اللام إليه، بل تسكن كل واحدة فى بيت خاص، ولو أريد واحداً من بيوتهن لاختصت الآية بواحدة منهم، وهذا ما اتفقت الأمة على خلافه. أضف إلى ذلك أنه على هذا يخرج بيت فاطمة مع أن الروايات ناطقة بشمولها، وأنما الكلام فى شمولها لأزواج النبى كما سيوافيك بيانه. [صفحة ١٦] هذا كله على تسليم أن المراد من البيت هو البيت المبنى من الأحجار والآجر والأخشاب، فقد عرفت أن المتعين حمله على بيت خاص معهود ولا يصح إلا حمله على بيت فاطمة، إذ ليس هناك بيت خاص صالح لحمل الآية عليه. وأما لو قلنا بأن البيت قد يطلق ويراد منه تارة هذا النسق، كما فى قوله تعالى: (وقرن فى بيوتكن ولا- تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)، وأخرى غير هذا النمط من البيت، مثل قول القائل: «بيت النبوة» و «بيت الوحى» تشبيهاً لهما على المحسوس، فلا محيص أن يراد منه المنتمون إلى النبوة والوحى بوشائج معنوية خاصة على وجه يصح مع ملاحظتها، عدّهم أهلاً لذلك البيت، وتلك الوشائج عبارة عن النزاهة فى الروح والفكر، ولا يشمل كل من يرتبط ببيت النبوة عن طريق السبب أو النسب فحسب، وفى الوقت نفسه يفتقد الأواصر المعنوية الخاصة، ولقد تفتن العلامة الزمخشري صاحب التفسير لهذه النكتة، فهو يقول فى تفسير قوله تعالى: (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) [٢٣]، لأنها كانت فى بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات، فكان عليها أن تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهى سائر النساء الناشئات فى غير بيوت النبوة، وإن تسبح الله وتمجده مكان التعجب، وإلى ذلك أشارت الملائكة فى قولها: (رحمته الله وبركاته عليكم أهل البيت) أرادوا أن هذه وأمثالها مميّكة يكرمكم به رب العزة، ويخصّكم بالأنعام به يا أهل بيت النبوة. [٢٤] وعلى ذلك لا يصح تفسير الآية بكل المنتسبين عن طريق الأواصر الجسمانية لبيت خاص حتى بيت فاطمة، إلا أن تكون هناك الوشائج المشار [صفحة ١٧] إليها، ولقد ضل من ضل فى تفسير الآية بغير تلك الجماعة عليها السلام، فحمل البيت فى الآية على البيت المبنى من حجر ومدر مع أن المراد غيره. ولقد جرى بين قتادة ذلك المفسر المعروف وبين أبى جعفر محمد بن على الباقر (عليه السلام) محادثة لطيفة أرشده الإمام فيها إلى هذا المعنى الذى أشرنا إليه، قال - عندما جلس أمام الباقر (عليه السلام) - لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام ابن عباس فما اضطرب قلبى قدام واحد منهم ما اضطرب قدامك. قال له أبو جعفر (عليه السلام): «ويحك، أتدرى أين أنت؟

أنت بين يدى: (فى بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ - رَجُلًا لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) [٢٥] فأنت ثم ونحن أولئك» فقال له قتادة: صدقت والله جعلنى الله فداك، والله ما هى بيوت حجارة ولا طين [٢٦]. وهذه القرينة تحض المفسر على التحقيق عن الأفراد الذين يرتبطون بالبيت بأواصر معينه، وبذلك يسقط القول بأن المراد منه أزواج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، لأنه لم تكن تلك الوشائج الخاصة باتفاق المسلمين بينهم وأقصى ما عندهن انهن كن مسلمات مومنات.

تذكير الضمائر

نرى أنه سبحانه عندما يخاطب أزواج النبى يخاطبهن حسب المعتاد بضمائر التأنيث، ولكنه عندما يصل إلى قوله: (إنما يريد الله ليذهب...) يغير الصيغة الخطائية فى التأنيث ويأتى بصيغة التذكير، فما هو السر فى تبديل الضمائر لو كان المراد أزواج النبى؟ وإليك نص الآيات: [صفحة ١٨] (يا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا). [٢٧]. (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا). [٢٨]. (وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا). [٢٩]. ترى أنه سبحانه يخاطبهن فى الآية الأولى بهذه الخطابات: ١. لستن. ٢. اتقين. ٣. فلا تخضعن. ٤. وقلن. ويخاطبهن فى الآية الثانية بهذه الخطابات: ١. قرن. ٢. بيوتكن. ٣. لا- تبرجن. ٤. أقمن. ٥. آتين. ٦. أطعن. كما يخاطبهن فى الآية الثالثة بقوله: ١. واذكرن. ٢. بيوتكن. وفى الوقت نفسه يتخذ فى ثنايا الآية الثانية موقفًا خاصًا فى الخطاب ويقول: ١. عنكم. ٢. يطهركم. فما وجه هذا العدول إذا كان المراد نساء النبى؟! أو ليس هذا يدل على أن المراد ليس نساءه (صلى الله عليه وآله وسلم). [صفحة ١٩] وقد حاول القرطبى التفسير عن الإشكال فقال: إن تذكير الضمير يحتمل لأن يكون خرج مخرج «الأهل» كما يقول لصاحبه: كيف أهلك، أى امرأتك ونسائك؟ فيقول: هم بخير، قال الله تعالى: (أتعجبين من أمر الله رحمه الله وبركاته عليكم أهل البيت). [٣٠]. ولكن المحاولة فاشلة فإن ما ذكره من المثال على فرض سماعه من العرب، إنما إذا تقدّم «الأهل» وتأخر الضمير، دون العكس كما فى الآية، فإن أحد الضميرين مقدّم على لفظ «الأهل» فى الآية كما يقول: (عنكم الرجس أهل البيت). وأما الاستشهاد فى الآية بغير صحيح، لأن الخطاب فيها لإبراهيم وزوجته، فيصح التغليب تغليب الأشرف على غيره فى الخطاب والمفروض فى المقام أن الآية نزلت فى زوجاته ونسائه خاصة فلا- معنى للتغليب. نعم إنما تصح فكرة التغليب لو قيل بأن المراد منه، هو أولاده وصهره وزوجاته، وهو قول ثالث سنبحث عنه فى مختتم البحث، وسيافيك أن بقية الأقوال كلها مختلقة لتصحيح الإشكالات الواردة على النظرية الثانية، فلاحظ.

الإرادة تكوينية لا تشريعية

سيافيك الكلام عند البحث فى سمات أهل البيت، أن من سماتهم، كونهم معصومين من الذنب وذلك بدليل كون من الإرادة فى قوله: (إنما يريد الله...) الإرادة التكوينية، التى لا ينفك المراد فيها عن الإرادة وتكون متحققة وثابتة فى الخارج، وبما أن المراد هو إذهاب الرجس وإثبات التطهير وتجهيزهم [صفحة ٢٠] بالأسباب والمعدات المنتهية إلى العصمة، فلا يصح أن يراد من أهل البيت أزواج النبى، إذ لم يدع أحد من المسلمين كونهم معصومات من الذنب ومطهرات من الزلل. فلا مناص عن تطبيقه على جماعة خاصة من المتممين إلى البيت النبوى الذين تحقّق فيهم تعلّقهم بالأسباب والمقتضيات التى تنتهى بصاحبها إلى العصمة ولا ينطبق هذا إلا على الإمام على وزوجته والحسين (عليهم السلام)، لأن غيرهم مجمع على عدم اتصافهم بهذه الأسباب. القرينة الرابعة أن الآيات المربوطة بأزواج النبى تبتدى من الآية ٢٨ وتنتهى بالآية ٣٤، وهى تخاطبهن تارة بلفظ «الأزواج» ومرتين بلفظ «نساء النبى» الصريحين فى زوجاته، فما هو الوجه فى العدول عنهما إلى لفظ «أهل البيت» فإن العدول قرينة على أن المخاطب به غير المخاطب بهما.

أهل البيت فى كلام النبى الأكرم

إشاره

قد وقفت على المراد من أهل البيت فى الآية المباركة من خلال دراسه مفردات الآية وجمليها وهدفها. وهناك طريق آخر للتعرف عليهم، وهو دراسه الأحاديث الواردة فى كلام النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنها تكشف عن وجه الحقيقة، فنقول: إن للنبى الأكرم عناية وافرة بتعريف أهل البيت لم ير مثلها إلا فى أقل الموارد، حيث قام بتعريفهم بطرق مختلفه سيوافيك بيانها، كما أن للمحدثين والمفسرين وأهل السير والتاريخ عناية كامله بتعريف أهل بيت نبى ص فى مواضع مختلفه حسب المناسبات التى تقتضى طرح هذه المسأله، كما أن للشعراء الإسلاميين المخلصين فى طوال قرون، عناية بارزة ببيان فضائل أهل البيت والتعريف بهم، والتصريح بأسمائهم [صفحه ٢١] على وجه يظهر من الجميع اتفاقهم على نزول الآية فى حق العتره الطاهره، وسيوافيك نزر من شعرهم فى مختتم البحث. كل ذلك يعرب عن أن الرأى العام بين المسلمين فى تفسير أهل البيت هو القول الأول، وأن القول بأن المقصود منهم زوجاته كان قولاً شاذاً متروكاً ينقل ولا يعتنى به، ولم ينحرف عن ذلك الطريق المهيج إلا بعض من اتخذ لنفسه تجاه أهل البيت موقفاً يشبه موقف أهل العدا والنصب. قام النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بتعريف أهل البيت بطرق ثلاثه نشير إليها: ١. صرح بأسماء من نزلت الآية فى حقهم حتى يتعين المنزول فيه باسمه ورسومه. ٢. قد أدخل جميع من نزلت الآية فى حقهم تحت الكساء، ومنع من دخول غيرهم، وأشار بيده إلى السماء وقال: «اللهم إن لكل نبى أهل بيت وهؤلاء أهل بيتي» كما سيوافيك نصه. ٣. كان يمر ببیت فاطمه عدة شهور، كلما خرج إلى الصلاة فيقول: الصلاة أهل البيت: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً). وبهذه الطرق الثلاثه حدّد أفراد أهل البيت وعين مصاديقهم على وجه يكون جامعاً لهم ومانعاً عن غيرهم، ونحن ننقل ما ورد حول الطرق الثلاثه فى التفسيرين: الطبرى والدر المنثور للسيوطى، ثم نأتى بما ورد فى الصحاح الستة حسب ما جمعه ابن الأثير الجزرى فى كتابه «جامع الأصول» وأخيراً نشير إلى الجوامع التى جمعت فيها أحاديث الفريقين حول نزول الآية فى حق الخمسه الطيبه، ونترك الباقي إلى القارى الكريم، فإن البحث قرآنى لا حديثى والاستيعاب فى الموضوع يحوجنا إلى تأليف مفرد. [صفحه ٢٢]

التصريح بأسمائهم

١. روى الطبرى: عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «نزلت هذه الآية فى خمس: فى، وفى على رضى الله عنه، وحسن رضى الله عنه، وحسين رضى الله عنه، وفاطمه رضى الله عنها: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)». ٢. عن أبى سعيد، عن أم سلمه زوج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أن هذه الآية نزلت فى بيتها (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) قالت: وأنا جالسه على باب البيت، فقلت: أنا يا رسول الله أأست من أهل البيت؟ قال: «إنك إلى خير، أنت من أزواج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)» قالت: وفى البيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى وفاطمه والحسن والحسين رضى الله عنهم. وفى «الدر المنثور» ما يلى: ٣. روى السيوطى عن ابن مردويه، عن أم سلمه قالت: نزلت هذه الآية فى بيتي (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) وفى البيت سبعة: جبريل، وميكائيل (عليهما السلام)، وعلى، وفاطمه، والحسن، والحسين رضى الله عنهم؛ وأنا على باب البيت، قلت: يا رسول الله أأست من أهل البيت؟ قال: «إنك إلى خير، إنك من أزواج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)». ٤. وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «نزلت هذه الآية فى خمس: فى، وفى على، وفاطمه، وحسن، وحسين (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)».

ادخالهم تحت الكساء

إدخالهم تحت الكساء أو «مرط أو ثوب» أو «عباءة أو قطيفة»: فقد وردت حوله هذه الروايات: ٥. أخرج الطبرى قال: قالت عائشة: خرج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات غداة وعليه مرط من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله معه، ثم جاء على فأدخله معه، ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً). ٦. أخرج الطبرى قال: عن أم سلمة قالت: كان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) عندى وعلى وفاطمة والحسن والحسين فجعلت لهم خزيرة فأكلوا وناموا وغطى عليهم عباءة أو قطيفة ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». ٧. أخرج الطبرى: عن أبى عمار قال: إننى لجالس عند واثلة بن الأسقع إذ ذكروا علياً رضى الله عنه فشتموه، فلما قاموا قال: اجلس حتى أخبرك عن هذا الذى شتموا، أتى عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ جاءه على وفاطمة وحسن وحسين فألقى عليهم كساء له ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى، اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. ٨. أخرج الطبرى: عن أبى عمار قال: سمعت واثلة بن الأسقع يحدث قال: سألت عن على بن أبى طالب فى منزله، فقالت فاطمة: قد ذهب يأتى برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ جاء، فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ودخلت، فجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على الفراش وأجلس فاطمة عن يمينه وعلياً عن يساره وحسناً وحسيناً بين يديه، فلفع عليهم بثوبه، وقال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت [صفحة ٢٤] ويطهركم تطهيراً) اللهم هؤلاء أهلى اللهم أهلى. ٩. أخرج الطبرى: عن أبى سعيد الخدرى عن أم سلمة قالت: لما نزلت هذه الآية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فجلى عليهم كساء خيرياً، فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتى، اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، قالت: أم سلمة قلت: أأست منهم؟ قال: «أنت إلى خير». ١٠. أخرج الطبرى: عن أبى هريرة، عن أم سلمة: قالت: جاءت فاطمة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحلها على طبق، فوضعتها بين يديه فقال: «أين ابن عمك وابناك؟» فقالت: «فى البيت» فقال: «ادعهم»، فجاءت إلى على فقالت: «أجب النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أنت وابناك»، قالت أم سلمة: فلما رآهم مقبلين مد يده إلى كساء كان على المنامة فمدّه وبسطه وأجلسهم عليه، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رؤوسهم وأوماً بيده اليمنى إلى ربّه، فقال: «هؤلاء أهل البيت فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». ١١. أخرج الطبرى: عن عمر بن أبى سلمة، قال: نزلت هذه الآية على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى بيت أم سلمة: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) فدعا حسناً وحسيناً وفاطمة فأجلسهم بين يديه، ودعا علياً فأجلسه خلفه، فتجلل هو وهم بالكساء، ثم قال: «هؤلاء أهل بيتى، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، قالت أم سلمة: أنا معهم، قال: «مكانك، وأنت على خير». [صفحة ٢٥] ١٢. أخرج الطبرى: قال عامر بن سعد، قال: قال سعد: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين نزل عليه الوحى فأخذ علياً وابنيه وفاطمة، وأدخلهم تحت ثوبه ثم قال: «رب هؤلاء أهلى وأهل بيتى». ١٣. أخرج الطبرى: عن حكيم بن سعد قال: ذكرنا على بن أبى طالب رضى الله عنه عند أم سلمة، قالت: فيه نزلت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) قالت أم سلمة: جاء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بيتى فقال: لا تأذنى لأحد، فجاءت فاطمة فلم استطع أن أحجبها عن أبيها، ثم جاء الحسن فلم استطع أن أمنعه أن يدخل على جدّه وأمه، وجاء الحسين فلم استطع أن أحجبه، فاجتمعوا حول النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) على بساط فجعلهم نبى الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بكساء كان عليه ثم قال: «هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط. قالت فقلت: يا رسول الله: وأنا؟ قال: «إنك إلى خير». ١٤. روى السيوطى: وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه عن أم سلمة رضى الله عنهما زوج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان ببيتها على منامة له عليه كساء خيرى، فجاءت فاطمة رضى الله عنها ببرمة فيها خزيرة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «ادعى زوجك وابنيك حسناً وحسيناً»، فدعتهن، فبينما هم يأكلون إذ نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت

ويطهركم تطهيراً) فأخذ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بفضله أزاره فغشاهم إياها، ثم أخرج يده من الكساء وأومأ بها إلى السماء ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، قالها ثلاث مرات، قالت أم سلمة - رضى الله عنها - فأدخلت رأسى فى السترة، فقلت: يا [صفحة ٢٦] رسول الله وأنا معكم؟ فقال: «إنك إلى خير» مرتين. ١٥. روى السيوطى: وأخرج الطبرانى عن أم سلمة - رضى الله عنها - أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لفاطمة - رضى الله عنها - «إئتني بزوجه وابنيه»، فجاءت بهم، فألقى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليهم كساءً فدياً ثم وضع يده عليهم، ثم قال: اللهم إن هؤلاء أهل محمد وفى لفظ: آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد». قالت أم سلمة - رضى الله عنها - فرفعت الكساء لادخل معهم فجذبه من يدي وقال: «إنك على خير». ١٦. روى السيوطى: وأخرج الطبرانى عن أم سلمة - رضى الله عنها - قالت: جاءت فاطمة - رضى الله عنها - إلى أبيها بثريدها لها، تحملها فى طبق لها حتى وضعتها بين يديه، فقال لها: «أين ابن عمك؟» قالت: «هو فى البيت». قال: «اذهبي فادعيه وابنيك»، فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما فى يد وعلى - رضى الله عنه - يمشى فى أثرهما حتى دخلوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأجلسهما فى حجره وجلس على - رضى الله عنه - عن يمينه وجلست فاطمة - رضى الله عنها - عن يساره، قالت أم سلمة - رضى الله عنها - فأخذت من تحتى كساء كان بساطناً على النمامة فى البيت. [٣١] . ١٧. روى السيوطى: وأخرج ابن مردويه والخطيب عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: كان يوم أم سلمة أم المؤمنين - رضى الله عنها - فنزل جبرئيل (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذه الآية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) قال: فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحسن وحسين وفاطمة وعلى فضمهم إليه ونشر عليهم الثوب، والحجاب على أم [صفحة ٢٧] سلمة مضروب، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتى، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، قالت أم سلمة - رضى الله عنها - فأننا معهم يا نبي الله؟ قال: «أنت على مكانك، وأنت على خير». ١٨. روى السيوطى: وأخرج الترمذى وصححه، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقى فى سننه، من طرق، عن أم سلمة - رضى الله عنها - قالت: فى بيتى نزلت: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) وفى البيت فاطمة وعلى والحسن والحسين فجاءهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بكساء كان عليه ثم قال: «هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». ١٩. روى السيوطى: وأخرج ابن أبى شيبه، وأحمد، ومسلم، وابن جرير، وابن أبى حاتم، والحاكم عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: خرج رسول الله ص غداةً وعليه مرط مريح من شعر أسود، فجاء الحسن والحسين - رضى الله عنهما - فأدخلهما معه، ثم جاء على فأدخله معه، ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً). ٢٠. روى السيوطى: وأخرج ابن جرير والحاكم وابن مردويه، عن سعد قال: نزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الوحى، فأدخل علياً وفاطمة وابنيهما تحت ثوبه ثم قال: «اللهم هؤلاء أهلى وأهل بيتى». ٢١. روى السيوطى: وأخرج ابن أبى شيبه، وأحمد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والطبرانى، والحاكم وصححه، والبيهقى فى سننه، عن واثلة ابن الأسقع - رضى الله عنه - قال: جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى فاطمة ومعه حسن وحسين وعلى، حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة فأجلسهما بين يديه [صفحة ٢٨] وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه وأنا مستدبرهم، ثم تلا هذه الآية: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً).

تعيينهم بتلاوة الآية على بابهم

اشاره

٢٢. أخرج الطبرى: عن أنس، أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر كلما خرج إلى الصلاة، فيقول:

الصلاة أهل البيت: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)». ٢٣. أخرج الطبرى: أخبرنى أبو داود، عن أبى الحمراء، قال: رابطة المدينة سبعة أشهر على عهد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: رأيت النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا طلع الفجر جاء إلى باب على وفاطمة فقال: الصلاة الصلاة: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً). ٢٤. أخرج الطبرى: عن يونس بن أبى إسحاق باسناده، عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) مثله. ٢٥. روى السيوطى: أخرج ابن أبى شيبه وأحمد والترمذى وحسنه، وابن جرير، وابن المنذر، والطبرانى، والحاكم وصححه، وابن مردويه، عن أنس - رضى الله عنه - أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يمر باب فاطمة - رضى الله عنها - إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول: «الصلاة يا أهل البيت: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)». ٢٦. روى السيوطى: أخرج ابن مردويه، عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: لما دخل على رضى الله عنه بفاطمة رضى الله عنها جاء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أربعين صباحاً إلى بابها يقول: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، [صفحة ٢٩] الصلاة رحمكم الله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) أنا حرب لمن حاربتهم، أنا سلم لمن سالمهم». ٢٧. روى السيوطى: أخرج ابن جرير، وابن مردويه، عن أبى الحمراء رضى الله عنه قال: حفظت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرة يخرج إلى صلاة الغداة إلا أتى إلى باب على رضى الله عنه فوضع يده على جيتى الباب ثم قال: «الصلاة الصلاة: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)». ٢٨. روى السيوطى: وأخرج ابن مردويه، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: شهدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تسعة أشهر يأتى كل يوم باب على بن أبى طالب رضى الله عنه عند وقت كل صلاة، فيقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) الصلاة رحمكم الله» كل يوم خمس مرات. ٢٩. روى السيوطى: وأخرج الطبرانى عن أبى الحمراء رضى الله عنه، قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يأتى باب على وفاطمة ستة أشهر فيقول: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً). [٣٢]. جولة حول ما رواه العلمان قد تعرفت على أكثر ما رواه الطبرى والسيوطى فى تفسيرهما، وتركنا بعض ما نقلناه فى ذلك المجال عن أعلام التابعين، وما رويناه ينتهى اسناده إلى [صفحة ٣٠] أقطاب الحديث من الصحابة وعيون الآثار، وهم: ١. أبو سعيد الخدرى. ٢. أنس بن مالك. ٣. ابن عباس. ٤. أبو هريرة الدوسى. ٥. سعد بن أبى وقاص. ٦. واثلة بن الأسقع. ٧. أبو الحمراء، أعنى: هلال بن الحارث. ٨. أمهات المؤمنين: عائشة وأم سلمة. أصبح بعد هذا لمناقش أن يشك فى صحة نزولها فى حق العترة الطاهرة؟! وليس الطبرى والسيوطى فريدين فى نقل تلك المأثورة، بل سبقهما، أصحاب الصحاح والمسانيد فنقلوا نزول الآية فى حقهم صريحاً أو كناية، ولا بأس بنقل ما جاء فى خصوص الصحاح حتى يعضد بعضه بعضاً فنقول: ٣٠. أخرج الترمذى: عن سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - قال: لما نزلت هذه الآية: (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ) [٣٣] الآية، دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلى». [صفحة ٣١] ٣١. أخرج الترمذى: عن أم سلمة رضى الله عنها: قالت إن هذه الآية نزلت فى بيتى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) قالت: وأنا جالسة عند الباب فقلت: يا رسول الله ألسنت من أهل البيت؟ فقال: «إنك إلى خير، أنت من أزواج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)»، قالت: وفى البيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى وفاطمة وحسن وحسين، فجعلهم بكسائه وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». وفى رواية أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) جلى على الحسن والحسين وعلى وفاطمة ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتى وحامتى اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». قالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: «إنك إلى خير». ٣٢. أخرج الترمذى: عن عمر بن أبى سلمة قال: نزلت هذه الآية على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) فى بيت أم سلمة، فدعا النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة وحسناً وحسيناً، فجعلهم بكساء، وعلّى خلف ظهره، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبى الله؟ قال: «أنت على مكانك وأنت على خير». ٣٣. أخرج الترمذى:

عن أنس بن مالك: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يمرُّ بباب فاطمة إذا خرج إلى الصلاة حين نزلت هذه الآية قريباً من ستة أشهر يقول: الصلاة أهل البيت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً). ٣٤. أخرج مسلم: عن عائشة قالت: خرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعليه مرط مُرَحَّل أسود، فجاءه الحسن فأدخله، ثم جاءه الحسين فأدخله، ثم جاءت فاطمة [صفحة ٣٢] فأدخلها، ثم جاء على فأدخله، ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) الآية. ٣٥. أخرج مسلم: عن زيد بن أرقم: قال يزيد بن حيان: انطلقت أنا وحسين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه قال له حسين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: يا ابن أخى، والله لقد كبرت سننى، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذى كنت أعى من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفوني، ثم قال: قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً فينا خطيباً بماء يدعى: خمماً، بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد: ألا أيها الناس، إنما أنا بشر، يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، فقال له حسين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال: ومن هم؟ قال: آل على، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم، زاد فى رواية «كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأه ضل». وفى أخرى نحوه: غير أنه قال: «وإنى تارك فيكم ثقلين أحدهما: كتاب الله وهو حبل الله فمن اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة، وفيها فقلنا: من أهل بيته؟ نساؤه قال: لا وأيم الله أن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته: أصله وعصبته الذين حرموا [صفحة ٣٣] الصدقة بعده. [٣٤]. هذا ما رواه أصحاب الصحاح حول نزول الآية فى حق العترة الطاهرة وتركنا ما رواه الإمام أحمد فى مسنده روماً للاختصار، وفى هذا غنى وكفاية لمن رام الحق واتبعه وعرف الباطل فاجتنبه، ومن أراد التوسع فعليه الرجوع إلى المصادر التالية: ١. العمدة للمحدث الحافظ يحيى بن سعيد المتوفى عام ٦٠٠ هـ الطبعة الحديثة. [٣٥]. ٢. بحار الأنوار: ٣٥-٢٠٦ - ٢٢٦. ٣. غايه المرام: ٢٨٧ و ٢٩٤، فقد أورد فيه واحداً وأربعين حديثاً من كتب أهل السنة، وأربعاً وثلاثين من كتب الشيعة. ٤. تفسير البرهان: ٣-٣٠٩ - ٣٢٥، فقد أورد فيه خمساً وستين حديثاً. ٥. نور الثقلين: ٤-٢٧٠ - ٢٧٧، أورد فيه خمسة وعشرين حديثاً. ٦. إحقاق الحق: ٢-٥٠٢ - ٥٤٤، فقد نقل نزول الآية فى حق العترة الطاهرة عن كتب أهل السنة حديثاً وتفسيراً، ثم استدرك ما فات فى الجزء التاسع والرابع عشر. [صفحة ٣٤] ٧. آية التطهير فى حديث الفريقين فقد استقصى فى جزء خاص الأحاديث الواردة حول الموضوع من طريق الفريقين شكر الله مساعى الجميع. وبعد هذا، حان حين البحث عن دلائل القول الآخر: وهو نزول الآية فى نسائه.

نزولها فى نساءه

قد تعرفت على دلائل القول وقرائنه ومؤيداته وأحاديثه المتواترة التى أطبق على نقلها تسع وأربعون [٣٦] صحابياً وصحابة من أمهات المؤمنين، وقد تلقته الأئمة بالقبول فى القرون الماضية، وأما القول الثانى أعنى نزولها فى نساءه وزوجاته ص فقد نسب إلى أشخاص نقل عنهم، منهم: ١. ابن عباس. ٢. عكرمة. ٣. عروة بن الزبير. ٤. مقاتل بن سليمان. أما الأول: فقد نقل عنه تارة، عن طريق سعيد بن جبیر، وأخرى عن طريق عكرمة، قال السيوطى فى الدر المنثور: وأخرج ابن أبى حاتم، وابن عساكر من طريق عكرمة عن ابن عباس عن قوله: (إنما يريد الله...) قال: نزلت فى نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وقال أيضاً: أخرج ابن مردويه عن طريق سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: نزلت فى نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). [صفحة ٣٥] وأمّا الثانى: أعنى عكرمة، فقد نقله عنه

الطبرى، عن طريق «علقمة» وإن عكرمة كان ينادى فى السوق: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس...) نزلت فى نساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم). ونقل فى الدر المنثور: أخرج ابن جرير وابن مردويه، عن عكرمة فى قوله: (إنما يريد الله ليذهب عنكم...) إنه قال ليس بالذى تذهبون إليه إنما هو نساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم). وأما الثالث: أعنى: عروة بن الزبير، فقال السيوطى: وأخرج ابن سعد عن عروة بن الزبير أنه قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) قال: أزواج النبى نزلت فى بيت عائشة. وأما الرابع: فقد نقل عنه فى أسباب النزول. [٣٧]. تحليل هذه النقول أمّا نقله عن ابن عباس فليس ثابت، بل نقل عنه خلاف ذلك، فقد نقل السيوطى فى «الدر المنثور» قال: وأخرج ابن مردويه، عن ابن عباس قال: شهدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تسعة أشهر يأتى كل يوم باب على بن أبى طالب عند وقت كل صلاة فيقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)». وليس ابن مردويه فريداً فى هذا النقل، فقد نقله عنه الحاكم الحسكاني فى شواهد التنزيل [٣٨] بسند ينتهى إلى أبى صالح، عن ابن عباس: (إنما يريد الله [صفحة ٣٦] ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) نزلت فى رسول الله وعلى وفاطمة والحسن والحسين. والرجس: الشك. كما نقله الحافظ الحسين بن الحكم الحبرى فى «تنزيل الآيات» عن أبى صالح بمثل ما سبق. [٣٩]. وممن رواه عن ابن عباس صاحب أرجح المطالب ص ٥٤ طبع لاهور، والعلامة إسماعيل النقشبندى «فى مناقب العترة». أضف إلى ذلك أن من البعيد أن يخفى على ابن عباس حبر الأُمّة ما أطلع عليه عيون الصحابة وأُمّهات المؤمنين، وقد أنهى بعض الفضلاء السادة [٤٠] عدد رواة الحديث من الصحابة إلى تسعة وأربعين صحابياً. وجمعها من مصادر الفريقين فى الفضائل والمناقب.

واما عكرمة

فقد ثبت تقوله بذلك كما عرفت، لكنّ فى نفس كلامه دليلاً واضحاً على أنّ الرأى العام يوم ذاك فى شأن نزول الأُمّة هو نزولها فى حق فاطمة، وإنما تفرّد هو بذلك، ولاجله رفع عقيرته فى السوق بقوله: ليس بالذى تذهبون إليه وإنما هو نساء النبى. أضف إلى ذلك: أنّ تخصيص هذه الآية بالنساء فى السوق وإنها نزلت فى نساء النبى يعرب عن موقفه الخاص بالنسبة إلى من اشتهر نزول الآية فى حقهم، وإلاّ فالتعارف بين الناس أن الجهر بالحقيقة بشكل معقول لا بهذه [صفحة ٣٧] الصورة المعربة عن الانحراف عنهم. هذا كله حول ما نقل عنه، وأما تحليل شخصيته وموقفه من الأمانة والوثاقة، وانحرافه عن على وانحيازه إلى الخوارج وطمعه الشديد بما فى أيدي الأُمراء فحدث عنه ولا حرج، ولاجل إيقاف القارى على قليل مما ذكره أئمّة الجرح والتعديل فى حقه نأتى ببعض ما ذكره الإمام شمس الدين الذهبى نقاد الفن فى كتابيه: «تذكرة الحفاظ»، و «سير أعلام النبلاء»، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتب الجرح والتعديل. نقل الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى المتوفى ٧٤٨هـ فى «سير أعلام النبلاء» هذه الكلمات فى حق عكرمة: ١. قال أيوب: «قال عكرمة: إننى لأخرج إلى السوق فأسمع الرجل يتكلم بالكلمة فيفتح لى خمسون باباً من العلم...» ما معنى هذه الكلمة؟ وهل يقولها إنسان يملك شيئاً من العقل والوقار؟! ٢. قال ابن لهيعة: وكان يحدث برأى نجدة الحرورى [٤١] وأتاه، فأقام عنده ستة أشهر، ثم أتى ابن عباس فسلم، فقال ابن عباس: قد جاء الخبيث. ٣. قال سعيد بن أبى مریم، عن أبى لهيعة، عن أبى الأسود قال: كنت أول من سب لعكرمة الخروج إلى المغرب وذلك أتى قدمت من مصر إلى المدينة فلقينى عكرمة وسألنى عن أهل المغرب، فأخبرته بغفلتهم، قال: فخرج إليهم وكان أول ما أحدث فيهم رأى الصفرية. [٤٢]. [صفحة ٣٨] ٤. قال يحيى بن بكير: قدم عكرمة مصر ونزل هذه الدار وخرج إلى المغرب، فالخوارج الذين بالمغرب عنه أخذوا. ٥. قال على بن المدينى: كان عكرمة يرى رأى نجدة الحرورى. ٦. وقال أحمد بن زهير: سمعت يحيى بن معين يقول: إنما لم يذكر مالك عكرمة - يعنى فى الموطأ - قال: لأنّ عكرمة كان ينتحل رأى الصفرية. ٧. وروى عمر بن قيس المكى، عن عطاء قال: كان عكرمة أباضياً. [٤٣]. ٨. وعن أبى مریم قال: كان عكرمة يهيساً. [٤٤]. ٩. وقال إبراهيم الجوزجاني: سألت أحمد بن حنبل عن عكرمة، أكان يرى رأى الأباضية؟ فقال: يقال: أنّه

كان صفرىاً، قلت: أتى البربر؟ قال: نعم، وأتى خراسان يطوف على الأمراء يأخذ منهم. ١٠. وقال على بن المدينى: حكى عن يعقوب الحضرمى عن جده قال: وقف عكرمة على باب المسجد فقال: ما فيه إلا كافر. قال: وكان يرى رأى الاباضية. [٤٥]. وقال فى «ميزان الاعتدال» [٤٦]: وقد وثقه جماعة، واعتمده البخارى، وأما مسلم فتجنّبه، وروى له قليلاً مقروناً بغيره، وأعرض عنه مالك، وتحايده إلا فى حديث أو حديثين. عفان، حدثنا وهيب قال: شهدت يحيى بن سعيد الأنصارى، وأيوب، فذكرا عكرمة فقال يحيى: كذاب، وقال أيوب: لم يكن بكذاب. [صفحة ٣٩] عن عبد الله بن الحارث: دخلت على بن عبد الله بن عباس فإذا عكرمة فى وثاق عند باب الحش فقلت: ألا تتقى الله؟ قال: إن هذا الخبيث يكذب على أبى. سئل محمد بن سيرين عن عكرمة؟ فقال: ما يسونى أن يكون من أهل الجنة ولكنه كذاب. هشام بن عبد الله المخزومى: سمعت ابن أبى ذئب يقول: رأيت عكرمة وكان غير ثقة. وعن بريد بن هارون قال: قدم عكرمة البصرة، فأثاه أيوب ويونس وسليمان التيمى، فسمع صوت غناء فقال: اسكتوا، ثم قال: قاتله الله لقد أجاد. وعن خالد بن أبى عمران قال: كنّا بالمغرب وعندنا عكرمة فى وقت الموسم فقال: وددت أن يبدى حرباً فاعترض بها من شهد الموسم يميناً وشمالاً. وعن يعقوب الحضرمى عن جده قال: وقف عكرمة على باب المسجد فقال: ما فيه إلا كافر. قال: ويرى رأى الاباضية، أن عكرمة لم يدع موضعاً إلا خرج إليه: خراسان والشام واليمن ومصر وافريقية، كان يأتى الأمراء فيطلب جوائزهم. وقال عبد العزيز الدراوردى: مات عكرمة وكثير غزاة فى يوم واحد فما شهدهما إلا سودان المدينة. وعن ابن المسيب أنه قال لمولاه «برد»: لا تكذب على كما كذب عكرمة على ابن عباس. أقبعد هذه الكلمات المتضافرة الحاكية عن انحراف الرجل عن جادة [صفحة ٤٠] الحق، وتكفيره عامة المسلمين، وتمنيه أن يقتل كل من شهد الموسم، يصح الاعتماد عليه فى تفسير الذكر الحكيم؟ والأسف أن المفسرين نقلوا أقواله وأرسلوها ولم يلتفتوا إلى أن الرجل كذاب على مولاه وعلى المسلمين، فواجب على عشاق الكتاب العزيز وطلاب التفسير، تهذيب الكتب عن أقوال وآراء ذلك الدجال ومن يحذو حذوه.

عروة بن الزبير

وأما عروة بن الزبير فيكفى فى عدم حجية قوله، عداؤه لعلّى وانحرافه عنه، ففى هذا الصدد يقول ابن أبى الحديد: روى جرير بن عبد الحميد، عن محمد بن شيبه قال: شهدت مسجد المدينة، فإذا الزهري وعروة بن الزبير جالسان يذكران علياً (عليه السلام) فنالا منه، فبلغ ذلك على بن الحسين «عليه السلام»، فجاء حتى وقف عليهما، فقال: أما أنت يا عروة فإن أبى حاكم أباك إلى الله فحكم لأبى على أيبك، وأما أنت يا زهري فلو كنت بمكة لأريتك كير أيبك. وقد روى من طرق كثيرة: أن عروة بن الزبير كان يقول: لم يكن أحد من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يزهو إلا على بن أبى طالب، وأسامة بن زيد. وروى عاصم بن أبى عامر البجلي، عن يحيى بن عروة قال: كان أبى إذا ذكر علياً نال منه، وقال لى مرة: يا بنى والله ما أحجم الناس عنه إلا طلباً للدنيا، لقد بعث إليه أسامة بن زيد أن أبعث إلى بعثائى فوالله أنك لتعلم أنك لو كنت فى فم أسد لدخلت معك. فكتب إليه: إن هذا المال لمن جاهد عليه، ولكن لى مالا بالمدينة، فأصب منه ما شئت. [صفحة ٤١] قال يحيى: فكنت أعجب من وصفه إياه بما وصفه به ومن عيبه له وانحرافه عنه. [٤٧].

مقاتل بن سليمان

وهو رابع النقلة لنزول الآية فى نسائه ص ويكفى فى عدم حجية قوله ما نقله الذهبى فى حقه فى «سير أعلام النبلاء» قال: قال ابن عيينة: قلت لمقاتل: زعموا أنك لم تسمع من الضحاك؟ قال: يغلق على وعليه باب فقلت فى نفسى: أجل باب المدينة. وقيل: إنه قال: سلونى عمّا دون العرش، فقالوا: أين أمعاء النملة؟ فسكت، وسألوه لما حج آدم من حلق رأسه؟ فقال: لا أدرى. قال وكيع: كان كذاباً. وعن أبى حنيفة قال: أتانا من المشرق ريان خبيثان: جهم معطل [٤٨] ومقاتل مشبه، مات مقاتل سنة نيف وخمسين ومائة، وقال البخارى:

مقاتل لا شىء البتة. قلت: اجمعوا على تركه. [٤٩]. تجد اتفاق المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة ومن قبلهم على أن القول بالتشبيه أنما تسرب إلى الأوساط الإسلامية من مقاتل، فهو الزعيم الركن بالقول [صفحة ٤٢] بأن له سبحانه أعضاء مثل ما للإنسان من اليد والرجل والوجه وغير ذلك، قاتل الله مقاتل، كيف يفترى على الله سبحانه كذباً ويُفسر آياته بغير وجهها؟! وقال الذهبي أيضاً فى «ميزان الاعتدال» [٥٠]، ما هذا تلخيصه: قال النسائي: كان مقاتل يكذب. وعن يحيى: حديثه ليس بشىء. وقال الجوزجاني: كان دجّالاً جسوراً. وقال ابن حبان: كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذى يوافق كتبهم، وكان يشبه الرب بالمخلوقات، وكان يكذب فى الحديث. وعن خارجة بن مصعب: لم استحل دم يهودى، ولو وجدت مقاتل بن سليمان خلوة لشققت بطنه. وقال ابن أبى حاتم: حديثه يدل على أنه ليس بصدوق.

مشكلة السياق؟

قد تعرفت على ما هو المراد من أهل البيت فى الآية الشريفة من خلال الامعان فيها وفى ظل الروايات الواردة فى كلام النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) غير أنهناك مشكلة باسم مشكلة السياق وهى أن الآية وردت فى ثنايا الآيات المربوطة بنساء النبى ص على وجه يكون قبلها وبعدها راجعاً إليهنّ ومع ذلك كيف يمكن أن تكون هذه الآية راجعة إلى أهل البيت بالمعنى الذى عرفت؟ وبعبارة أخرى: إن آية التطهير جزء من الآية الثالثة الثلاثين، التى يرجع صدرها وذيلها إلى نساء النبى، فعندئذ كيف يصح القول بأنها راجعة إلى [صفحة ٤٣] غيرهنّ، فإنّ وحدة السياق قاضية على أن الكل راجع إلى موضوع واحد، وإرجاعها إلى غير نساءه يستلزم التفكيك بين أجزاء آية واحدة، نعم لو كانت آية التطهير آية مستقلة لكان الأمر سهلاً إذ كان الإشكال أضعف، ولكنّها جزء من آية واحدة نزلت فى نساء النبى. والجواب: لا شك أن السياق من الأمور التى يستدل بها على كشف المراد ويجعل صدر الكلام ووسطه وذيله قرينة على المراد، ووسيلة لتعيين ما أريد منه، ولكنه حجة إذا لم يقم دليل أقوى على خلافه، فلو قام ترفع اليد عن وحدة السياق وقرينته. وبعبارة أخرى: إن الاعتماد على السياق إنما يتم لو لم يكن هناك نص على خلافه، وقد عرفت النصوص الدالة على خلافه. أضف إليه أن هناك دلائل قاطعة على أن آية التطهير آية مستقلة نزلت كذلك ووقعت فى ثنايا الآية المربوطة بأزواج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لمصلحته كان صاحب الشريعة أعرف بها. [٥١] وإليك الدلائل الدالة على استقلالها: الدليل الأوّل أطبقت الروايات المنتهية إلى الأصحاب وأمّهات المؤمنين والتابعين لهم بإحسان على نزولها مستقلة، سواء أقلنا بنزولها فى حق العترة الطاهرة أو زوجات النبى أو أصحابه، فالكل - مع قطع النظر عن الاختلاف فى المنزل فيه - [صفحة ٤٤] اتفقوا على نزولها مستقلة، وقد مضت النصوص عن الطبرى و«الدر المنثور» والصحاح ترى أن أمّ سلمة تقول: نزلت فى بيتي (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً). ويروى أبو سعيد الخدرى، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «نزلت هذه الآية فى خمسة: فئى على وفاطمة وحسن وحسين (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)». وروت عائشة: خرج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات غداة وعليه مرط مبرجل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله معه، ثم جاء الحسين فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها معه، ثم جاء على فأدخله معه، ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً). إلى غير ذلك من النصوص. حتى أن ظاهر كلام عكرمة وعروة بن الزبير نزولها مستقلة بقول السيوطى: كان عكرمة ينادى فى السوق (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) نزلت فى نساء النبى. وأخرج ابن سعد عن عروة بن الزبير أنه قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) قال: أزواج النبى، نزلت فى بيت عائشة. [٥٢]. فالموافق والمخالف اتفاقاً على كونها آية مستقلة إما نزلت فى بيت أمّ سلمة أو بيت عائشة، وإمّا فى حق العترة أو نساءه. وعلى ذلك تسهل مخالفة السياق، والقول بنزولها فى حق العترة الطاهرة، وإنّ الصدر والذيل راجعان إلى نساءه ص لا ما ورد فى ثناياها، فهو راجع إلى غيرهن. [صفحة ٤٥] ولا غرو فى أن يكون الصدر والذيل راجعين إلى موضوع وما ورد فى الأثناء راجعاً إلى غيره فإنّ ذلك من فنون البلاغة وأساليبها، نرى نظيره فى الذكر الحكيم وكلام

البلغاء، وعليه ديدن العرب فى محاوراتهم، فربما يرد فى موضوع قبل أن يفرغ من الموضوع الذى كان يبحث عنه ثم يرجع إليه ثانية. يقول الطبرسى: من عادة الفصحاء فى كلامهم أنهم يذهبون من خطاب إلى غيره ويعودون إليه، والقرآن من ذلك مملوء، وكذلك كلام العرب وأشعارهم. [٥٣]. قال الشيخ محمد عبده: إن من عادة القرآن أن ينتقل بالإنسان من شأن إلى شأن ثم يعود إلى مباحث المقصد الواحد المرة بعد المرة. [٥٤]. وروى عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «إن الآية من القرآن يكون أولها فى شيء وآخرها فى شيء». [٥٥]. ولأجل أن يقف القارئ على صحة ما قاله هؤلاء الأكابر نأتى بشاهد، فنقول: قال سبحانه ناقلًا عن «العزیز» مخاطبًا زوجته: (إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ X يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ). [٥٦] نرى أن العزیز يخاطب أولًا- امرأته بقوله: (إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ) وقبل أن يفرغ من كلامه معها، يخاطب يوسف بقوله: (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا) ... ثم يرجع إلى الموضوع الأول ويخاطب زوجته بقوله: (وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ) ... فقله (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ [صفحة ٤٦] هَذَا) جملة معترضة وقعت بين الخطابين، والمسوّغ لوقوعها بينهما كون المخاطب الثانى أحد المتخاصمين، وكانت له صلة تامّة بالواقعة التى رفعت إلى العزیز. والضابط الكليّة لهذا النوع من الكلام هو وجود التناسب المقضى للعدول من الأول إلى الثانى، ثم منه إلى الأول، وهى أيضاً موجودة فى المقام، فإنّه سبحانه يخاطب نساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بالخطابات التالية: ١. (يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين). ٢. (يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقين...). ٣. (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى). فعند ذلك صح أن ينتقل إلى الكلام عن أهل البيت الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وذلك لوجهين: ١. تعريفهنّ على جماعة بلغوا فى التورع والتقوى، الذروة العليا، وفى الطهارة عن الرذائل والمساوى، القمة. وبذلك استحقوا أن يكونوا أسوة فى الحياة وقدوة فى مجال العمل، فيلزم عليهن أن يقتدين بهن ويستضيئن بضوئهن. ٢. التنبيه على أن حياتهنّ مقرونة بحياة أُمّة طاهرة من الرجس ومطهرة من الدنس، ولهنّ معهم لحمة القرابة ووصلة الحسب، واللازم عليهنّ التحفظ على شؤون هذه القرابة بالابتعاد عن المعاصى والمساوى، والتحلّى بما يرضيه سبحانه ولأجل ذلك يقول سبحانه: (يا نساء النبى لستن كأحد من النساء)، وما هذا إلّا- لقربتهنّ منه ص وصلتهنّ بأهل بيته. وهى لا تنفك عن المسؤولية الخاصة، فالانتساب للنبى الأكرم ص ولييته الرفيع، سبب المسؤولية ومنشؤها، [صفحة ٤٧] وفى ضوء هذين الوجهين صح أن يطرح طهارة أهل البيت فى أثناء المحاورّة مع نساء النبى والكلام حول شؤونهنّ. ولقد قام محققو الإمامية ببيان مناسبة العدول فى الآية، نأتى ببعض تحقيقاتهم، قال السيد الفاضلى التستري: «لا- يبعد أن يكون اختلاف آية التطهير مع ما قبلها على طريق الالتفات من الأزواج إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته «عليهم السلام» على معنى أن تأديب الأزواج وترغيبهنّ إلى الصلاح والسداد، من تواجب إذهاب الرجس والدنس عن أهل البيت (عليهم السلام)، فالحاصل نظم الآية على هذا: أن الله تعالى رغب أزواج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى العفة والصلاح بأنّه إنّما أراد فى الأزل أن يجعلكم معصومين يا أهل البيت واللائق أن يكون المنسوب إلى المعصوم عفيفاً صالحاً كما قال: (وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ) [٥٧] [٥٨]. وقال العلامة المظفر: وإنّما جعل سبحانه هذه الآية فى أثناء ذكر الأزواج وخاطبهنّ للتنبيه على أنّه سبحانه أمرهنّ ونهاهنّ وأدبهنّ إكراماً لأهل البيت وتنزيهاً لهم عن أن تنالهم بسببهنّ وصمّة، وصوناً لهم عن أن يلحقهم من أجلهنّ عيب، ورفعاً لهم عن أن يتصل بهم أهل المعاصى، ولذا استهل سبحانه الآيات بقوله: (يا نساء النبى لستن كأحد من النساء) ضرورة أن هذا التميّز إنّما هو للاتصال بالنبى وآله، لا لذواتهنّ فهنّ فى محل، و أهل البيت فى محل آخر، فليست الآية الكريمة إلّا كقول القائل: يا زوجة فلان لست كأزواج سائر الناس فتعففى، وتستري، وأطيعى الله تعالى، إنّما زوجك من بيت أطهار يريد الله حفظهم من الأدناس وصونهم عن النقائص. [٥٩]. [صفحة ٤٨] الدليل الثانى إنّ لسان الآيات الواردة حول نساء النبى لسان الإنذار والتهديد، ولسان الآية المربوطة بأهل بيته لسان المدح والثناء، فجعل الآيتين آية واحدة وإرجاع الجميع إليهنّ ممّا لا يقبله الذوق السليم، فأين قوله سبحانه: (يا نساء النبى من يأت منكنّ بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب) من قوله: (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)؟! كما أنّ لسان القرآن فى أزواج النبى، لسان المدح والإنذار ويكفيك الإمعان فى آيات سورة التحريم فلاحظ. الدليل الثالث إنّ قوله

سبحانه: (إنما يريد الله...) فى المصاحف جزء من الآية الثالثة والثلاثين فلو رفعناه منها لم يتطرق أى خلل فى نظم الآية ومضمونها وتتحصل من ضم الآية الرابعة والثلاثين إلى ما بقيت، آية تامة واضحة المضمون، مبينة المرمى منسجمة الفاصلة، مع فواصل الآيات المتقدمة عليها، وإليك تفصيل الآية فى ضمن مقاطع: ألف. (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله). ب. (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً). [٦٠]. [صفحة ٤٩ ج. (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً). [٦١]. فلو رفعنا قوله: (إنما يريد الله) وضممنا ما تقدم عليه بما تأخر، جاءت الآية تامة من دون حدوث خلل فى المعنى والنظم، وهذا دليل على أن قوله تعالى: (إنما يريد الله) آية مستقلة وردت فى ضمن الآية لمصلحته ربما نشير إليها. إن الأحاديث على كثرتها صريحة فى نزول الآية وحدها، ولم يرد حتى فى رواية واحدة نزولها فى ضمن آيات نساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا ذكره أحد حتى القائل باختصاص الآية بأزواج النبى كما ينسب إلى عكرمة وعروة، فالآية لم تكن حسب النزول جزءاً من آيات نساء النبى ولا متصلة بها، وإنما وضعت إماماً بأمر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أو عند التأليف بعد الرحلة. ويؤيده أن آية (وقرن فى بيوتكن) باقية على انسجامها واتصالها لو قدر ارتفاع آية التطهير من بين جملها. [٦٢]. وليس هذا أمراً بدعاً فله نظير فى القرآن الكريم. فقد تضافرت السنة، وروى الفريقان أن قوله سبحانه: (الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا) [٦٣] نزلت فى غدير خم عندما نصب النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً إماماً للامة ولولياً للمؤمنين، مع أنه فى المصاحف جزء الآية الثالثة من «سورة المائدة» التى تبيين أحكام اللحوم، وإليك نفس الآية فى مقاطع ثلاثة: [صفحة ٥٠ ألف. (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَمْ فِسْقٌ). [٦٤]. ب. (اليوم ينس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً). ج. (فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). [٦٥]. فإذا رفعنا الجزء الثانى يحصل من ضم الأول إلى الثالث آية تامة من دون طرؤ خلل فى مضمونها ونظمها، وذلك دليل على أن الجزء الثانى آية مستقلة وردت فى ضمن آية أخرى بتصويب صاحب الشريعة الغراء أو بتصويب من جامعى القرآن بعد رحلته ص. أضف إلى ذلك أن مضمون الآية - أعنى: أحكام اللحوم - قد ورد فى آيات أخر من دون أن تشتمل على هذه الزيادة، فهذه قرينة على أن ما ورد فى الأثناء ليس من صميم الآية فى سورة المائدة، وإنما وضع فى أثنائها بأمر من النبى الأكرم لمصلحة عامة نشير إليها.

ما هو السر فى جعلها جزءاً من آية أخرى

قد اتضح مما ذكرنا أن القرآن الكريم إنما انتقل إلى موضوع أهل البيت [صفحة ٥١] وخطابهم لأجل إعلام نساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنهن فى جوار هؤلاء المطهرين فيجب عليهن القيام بأداء حقوق هؤلاء العظماء، الذين ميزهم الله تعالى عن غيرهم من هذه الأمة بالتطهير والعصمة والافتداء بهم فى القول والسلوك. ولكن يبقى هنا سؤال آخر، وهو أنه إذا كانت الآية، آية مستقلة فلماذا جاءت فى المصحف جزءاً من آية أخرى، ولم تكتب بصورة آية تامة فى جنب الآيات الأخرى؟ الجواب: التاريخ يطلعنا بصفحات طويلة على موقف قريش وغيرهم من أهل البيت (عليهم السلام)، فإنّ رجل الحسد ما زال يغلى والاتجاهات السلبية ضدهم كانت كالشمس فى رابعة النهار، فاقتضت الحكمة الإلهية أن تجعل الآية فى ثنايا الآيات المتعلقة بنساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) من أجل تخفيف الحساسيات ضد أهل البيت، وان كانت الحقيقة لا تخفى على من نظر إليها بعين صحيحة، وأن الآية تهدف إلى جماعة أخرى غير نساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كما بيناه قبل قليل. وللسيد عبد الحسين شرف الدين هنا كلام ربما يفصل ما أجملناه فإنه - قدس الله سره - بعد ما أثبت أن قوله سبحانه: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) [٦٦] منزل فى حق الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) طرح سؤالاً، وهو أنه إذا كان أمير المؤمنين «عليه السلام» هو المراد من

الآية فلماذا عبر عن المفرد بلفظ الجمع؟ فقال: إنَّ العرب قد تعبّر عن المفرد بلفظ الجمع لنكتة التعظيم حيث يستوجب، ثم قال: وعندى فى ذلك نكتة ألطف وأدق، وهى أنه إنّما أتى بعبارة الجمع دون عبارة المفرد بُقياً منه تعالى على كثير من الناس، فإنَّ شائئى على [صفحة ٥٢] وأعداء بنى هاشم وسائر المنافقين وأهل الحسد والتنافس لا يطيقون أن يسمعوها بصيغة المفرد إذ لا يبقى لهم حينئذ مطمع فى التمويه ولا ملتمس فى التضليل فيكون منهم بسبب بأسهم حينئذ ما تخشى عواقبه على الإسلام فجاءت الآية بصيغة الجمع مع كونها للمفرد اتقاء من معرفتهم، ثم كانت النصوص بعدها تترى بعبارات مختلفة ومقامات متعددة وبث فيها أمر الولاية تدريجاً حتى أكمل الله الدين وأتمَّ النعمة جرياً منه ص على عادة الحكماء فى تبليغ الناس ما يشق عليهم، ولو كانت الآية بالعبارة المختصة بالمفرد لجعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً، وهذه الحكمة مطردة فى كل ما جاء فى القرآن الحكيم من آيات فضل أمير المؤمنين وأهل بيته الطاهرين كما لا يخفى، وقد أوضحنا هذه الجمل وأقمنا عليها الشواهد القاطعة والبراهين الساطعة فى كتابينا «سبيل المؤمنين» و «تنزيل الآيات» والحمد لله على الهداية والتوفيق والسلام. [٦٧]. [صفحة ٥٣]

نظريات اخرى فى تفسير اهل البيت

قد عرفت القولين المعروفين حول الآية، كما عرفت الحق الواضح منهما، فهلم معى ندرس سائر الأقوال الشاذة التى لا تعتمد على ركن وثيق وإنما هى آراء مختلفة لأجل الفرار من المشاكل المتوجهة إلى ثانى القولين، ونحن نذكرها واحداً بعد آخر على نحو الإيجاز: ١. المراد من «البيت» هو بيت الله الحرام والمراد من أهله هم المقيمون حوله. ٢. المراد من «البيت» هو مسجد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) والمراد من أهله هم القاطنون حوله، وكان لبيوتهم باب إلى المسجد. ٣. المراد من تحريم عليهم الصدقة وهم ولد أبى طالب: على، جعفر، وعقيل، وولد العباس. ٤. المراد من البيت بيت النسب والحسب، فيعم أبناء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ونسائه. [٦٨] وهذه الوجوه كلّها عليه، أمّا الأوّل والثانى، فلانّ إطلاق «أهل البيت» واستعماله فى أهل مكة والمدينة استعمال بعيد لا يحمل عليه الكلام إلاّ بقرينة قطعية، والمتبادر منه هو أهل بيت الرجل، وعلى ذلك جرى الذكر الحكيم فى موردين أحدهما فى قصة إبراهيم قال سبحانه: (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ). [٦٩] وثانيهما فى قصة موسى قال سبحانه: (هَلْ أَذُكُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ). [٧٠]. أضف إليه أن الآية واقعة فى سياق البحث عن نساء النبى، فصرفت الآية عنه ص وإرجاعها إلى من جاور بيت الله أو من بات حول مسجده لا يساعد عليه ظاهر الآيات أبداً. [صفحة ٥٤] ويتلوها الثالث: فإنّ تفسير «أهل بيت النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)» بمن تحريم عليه الصدقة من صلب أبى طالب والعباس تفسير بلا شاهد، وكأنّه حمل البيت على البيت النسبى، أضف إليه أنّ الصدقة غير محرمة على خصوص أبنائهما، بل هى محرمة على أبنائهما وكل من كان من نسل عبد المطلب. قال الشيخ الطوسى فى الخلاف: تحريم الصدقة المفروضة على بنى هاشم من ولد أبى طالب العقيليين والجعفرية والعلويين، وولد العباس بن عبد المطلب، وولد أبى لهب، وولد الحارث بن عبد المطلب، ولا عقب لهاشم إلاّ من هؤلاء، ولا يحرم على ولد المطلب، ونوفل، وعبد شمس بن عبد مناف، قال الشافعى: تحريم الصدقة المفروضة على هؤلاء كلّهم وهم جميع ولد عبد مناف. [٧١]. وقال بمثله أيضاً فى كتاب قسمة الصدقات: ٢-٣٥٣، المسألة ٢٦. وعلى ذلك فليس لهذه النظرية دليل سوى ما رواه مسلم عن زيد بن أرقم، وقد قدمنا نصّه عند ذكر الأحاديث الواردة حول الآية. [٧٢]. وأمّا النظرية الرابعة: فقد ذهب إليها بعضهم، جمعاً بين الأحاديث المتضافرة الحاكية عن نزول الآية فى العترة الطاهرة، وسياق الآيات الدالة على رجوعها إلى نسائه، فحاول القائل الجمع بين الدليلين بتفسير الآية بأولاده وأزواجه، وجعل عليّاً أيضاً منهم بسبب معاشرته وملازمته للنبى ص. قال الرازى: والأولى أن يقال هم: أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم وعلى معهم، لأنّه كان من أهل بيته بسبب معاشرته بيت النبى وملازمته. [٧٣]. وقال البيضاوى: والتخصيص بهم أولاده لا يناسب ما قبل الآية وما [صفحة ٥٥] بعدها، والحديث يقتضى أنّهم من أهل البيت لا أنّ غيرهم ليس منهم. [٧٤]. وقال المراعى: أهل بيته من كان ملازماً له من الرجال والنساء والأزواج والإماء والأقارب. [٧٥]. وهذه النظرية موهونة أيضاً

أولاً: إنّ اللام فى «أهل البيت» ليس للجنس ولا للاستغراق، بل هى لام العهد وهى تشير إلى بيت معهود بين المتكلم والمخاطب، وهو بيت واحد، ولو صح ذلك القول لوجب أن يقول «أهل البيوت» حتى يعم الأزواج والأولاد وكل من يتعلّق بالنبي نسباً أو حسباً أو لعلاقة السكينة مثل الإمام. والحاصل: أنّه لو أُريد «بيت النبي» المادى الجسمانى لا يصح، إذ لم يكن له بيت واحد، بل كان لكل واحدة من نسائه بيت مشخص، فكان النبي صاحب البيوت لا البيت الواحد. ولو أُريد منه بيت النسب، كما يقال: بيت من بيوتات «حمير» أو «ربيعه»، فلازمه التعميم إلى كل من ينتمى إلى هذا البيت بنسب أو سبب، مع أنّه كان بعض المنتمين إليه يوم نزول الآية من عبدة الوثن وأعداء النبي، فإنّ سورة الأحزاب نزلت سنة ست من الهجرة، وقد ورد فيها زواج النبي من زينب بنت جحش، وهو حسب ما ذكره صاحب «تاريخ الخميس» من حوادث سنة خمس، وعلى ذلك فلا تتجاوز الآيات النازلة فى نساء النبي عن هذا الحد وكان عند ذاك، بعض من ينتمى إلى النبي بالنسب مشركاً، كأبى سفيان بن عبد المطلب ابن عم رسول الله، وعبد الله بن أمية بن المغيرة ابن عمته، وقد أسلما فى عام الفتح، وأنشد الأول قوله فى إسلامه واعتذر إلى النبي ممّا كان مضى منه فقال: [صفحة ٥٦] لعمر ك إننى يوم أحمل رايةً لتُغلب خيل اللات، خيل محمد لكالمُدلج الحيرانِ أظلم ليّلهُ فهذا أوانى حين أهدى وأهتدى [٧٦]. ولو أُريد منه «بيت الوحي» فلازمه الاختصاص بمن بلغ من الورع والتقوى ذروتها، حتى يصحّ عدّه من أهل ذلك البيت الرفيع المعنون، ومثله لا يعم كل من ينتمى بالوشائج النسيئة أو الحسبية إلى هذا البيت، وإن كان فى جانب الإيمان والعمل فى درجة نازلة تلحقه بالعاديين من المسلمين. ثانياً: قد عرفت أنّ الإرادة الواردة فى الآية تكوينية تعرب عن تعلّق إرادته الحكيمه على عصمه أهل ذلك البيت، ومعه كيف يمكن القول بأنّ المراد كل من ينتمى إلى ذلك البيت بوشائج النسب والحسب؟! ثالثاً: إنّ النظرية فى جانب مخالف للأحداث المتضافرة الدالة على نزول الآية فى حق العترة الطاهرة، وقد قام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بتفسيرها بوجوه مختلفة أوعزنا إليها عند البحث عن القول الأول، والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المبين الأول لمفاد كتابه الذى أرسل معه قال سبحانه: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ). [٧٧]. فليست وظيفة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) القراءة والتلاوة بل التبيين والتوضيح من وظائفه التى تنص الآية عليها. هذا هو موجز القول فى تفسير الآية ولا بأس بإكمال البحث بنقل بعض ما أنتجتة قريحة الشعراء الإسلاميين حول أهل البيت وفضائلهم، على وجه يعرب عن أنّ المتبادر من ذلك اللفظ فى القرون الإسلامية لم يكن إلاّ العترة الطاهرة، أعنى: فاطمة وأباها وبعلمها وابنيها سلام الله عليهم أجمعين، وإليك نزرّاً يسيراً فى هذا المجال. [صفحة ٥٧]

أهل البيت فى الادب العربى

ما حقّقناه حول الآية كان أمراً واضحاً لا لبس فيه عند المسلمين فى الصدر الأول فقد فهموا فى الآية الكريمة و بفضل الروايات من هم أهل البيت من دون تردّد أو تريث، وصاغوا ما فهموه فى قوالب شعرية رائعة، نقتطف منها هذه الشذرات. قال عمرو بن العاص فى قصيدته الجلجلية المعروفة يمدح بها الإمام على ابن أبى طالب، وفيها هذا البيت فى حق العترة الطاهرة: فوال مواليه يا ذا الجلال وعاد معادى أخ المرسل ولا تنقضوا العهد من عترتى فقاطعهم بى لم يوصل [٧٨]. وقال الكميّ بن زيد الأسدى فى قصيدته له: [صفحة ٥٨] ألم ترنى من حب آل محمد أروح وأغدو خائفاً أتربّ فإن هى لم تصلح لحي سواهم فإنّ ذوى القربى أحق وأوجب يقولون لم يورث ولولا تراثه لقد شركت فيها بكيل وأرحب [٧٩]. قال العبدى الكوفى (المتوفى ١٢٠ هـ): ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم مذاهبهم فى أبحر الغى والجهل ركبت على اسم الله فى سفن النجا وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل وأمست حبلى الله وهو ولاؤهم كما قد أمرنا بالتمسك بالحبلى [٨٠]. قال الإمام الشافعى: يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله فى القرآن أنزله [صفحة ٥٩] كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له [٨١]. وذكر ابن الصباغ المالكى فى «الفصول» لقائل: هم العروة الوثقى لمعتصم بها مناقبهم جاءت بوحي وانزال مناقب فى شورى وسورة هل أتى وفى سورة الأحزاب يعرفها التالى وهم آل بيت المصطفى فودادهم على الناس مفروض بحكم وإسجال [٨٢]. وذكر الشبلنجى فى «نور الأبصار» عن أبى الحسن بن جبير: أحب

النبي المصطفى وابن عمه علياً وسبطيه وفاطمة الزهراء هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم وأطلعهم أفق الهدى أنجماً زهراً موالاتهم فرض على كل مسلم وحبهم أسنى الذخائر للأخرى [صفحة ٦٠] وما أنا للصحب الكرام بمبغض فإننى أرى البغضاء فى حقهم كفراً [٨٣]. وقال العبدى: يا سادتى يا بنى على يا «آل طه» و «آل صاد» من ذا يوازيكم وأنتم خلائف الله فى البلاد أنتم نجوم الهدى اللواتى يهدى بها الله كل هاد لولا هداكم إذا ضللنا والتبس الغى بالرشاد لازلت فى حبكم أوالى عمرى وفى بغضكم أعادى وما تزودت غير حبى إياكم وهو خير زاد وذاك ذخرى الذى عليه فى عرصه الحشر اعتمادى [صفحة ٦١] ولاكم والبراءة ممن يشنأكم اعتقادى [٨٤]. وقال دعبل الخزاعى: أتسكب دمع العين بالعبرات وبت تقاسى شدة الزفرات؟! وتبكى لآثار لال محمد فقد ضاق منك الصدر بالحسرات ألا فابكهم حقاً وبلى عليهم عيوناً لرب الدهر منسكبات ولا تنس فى يوم الطفوف مصابهم وداهية من أعظم النكبات سقى الله أجداناً على أرض كربلا مرابع أمطار من المزنات وصلّى على روح الحسين حبيبه قتيلاً لدى النهرين بالفلوات قتيلاً بلا جرم فجعلنا بفقد فريداً ينادى: أين أين حمايتى [صفحة ٦٢] أنا الظامى العطشان فى أرض غربه قتيلاً ومظلوماً بغير ترات وقد رفعوا رأس الحسين على القنا وساقوا نساءً ولهاً خفرات فقل لابن سعد عذب الله روحه ستلقى عذاب النار باللعات ساقنت طول الدهر ما هبت الصبا واقنت بالأصال والغدوات على معشر ضلّوا جميعاً وضيعوا مقال رسول الله بالشبهات [٨٥]. وقال أيضاً: نطق القرآن بفضل آل محمد وولاية لعلّيه لم تجحد بولاية المختار من خير الذى بعد النبي الصادق المتودد [٨٦]. [صفحة ٦٣] وقال الحماني (المتوفى ٣٠١ هـ): يا آل حاميم الذين بحبهم حكم الكتاب منزّل تنزيلاً كان المديح حلّى الملوك وكنتم حلل المديح غزّة وحجولا. بيت إذا عدّ المآثر أهله عدّوا النبي وثانياً جبريلاً. قوم إذا اعتدلوا الحمائل أصبحوا متقسّمين خليفه ورسولا نشأوا بآيات الكتاب فما اثنتوا حتى صدرن كهولة وكهولا ثقلان لن يتفرّقا أو يطفيا بالحوض من ظمأ الصدور غليلاً. وخليفتان على الأنام بقوله الحق أصدق من تكلم قتيلاً فأتوا أكف الآيسين فأصبحوا ما يعدلون سوى الكتاب عديلاً [٨٧]. [صفحة ٦٤] وقال العجلوني (المتوفى ١١٦٢ هـ): لقد حاز آل المصطفى أشرف الفخر بنسبتهم للطاهر الطيّب الذكر فحبهم فرض على كل مؤمن أشار إليه الله فى محكم الذكر ومن يدعى من غيرهم نسبة له فذلك ملعون أتى أقبح الوزر وقد خص منهم نسل زهراء الأشرف بأطراف تيجان من السندس الخضر ويغنيهم عن لبس ما خصهم به وجوه لهم أبهى من الشمس والبدر ولم يمتنع من غيرهم لبس أخضر على رأى من يعزى لا سيوط ذى الخبر وقد صححوا عن غيره حرمة الذى رآه مباحاً فاعلم الحكم بالسبر [٨٨]. وقال جرير بن عبد الله البجلي: فصلى الإله على أحمد رسول المليك تمام النعم [صفحة ٦٥] وصلى على الطهر من بعده خليفتنا القائم المدعّم علياً عنيت وصى النبي يجالده عنه غواة الأُمم له الفضل والسبق والمكرمت وبيت النبوة لا المهتمّم [٨٩]. وقال الزاهى (المتوفى ٣٥٢ هـ): يا سادتى يا آل ياسين فقط عليكم الوحي من الله هبط لولاكم لم يقبل الفرض ولا رحا لبحر العفو من أكرم شط أنتم ولادة العهد فى الذرّ ومن هواهم الله علينا قد شرط ما أحد قايسكم بغيركم ومازج السلسل بالشرب اللطع إلا كمن ضاهى الجبال بالحصى أو قايس الأبحر جهلاً بالنقط [٩٠]. [صفحة ٦٦] قال أيضاً ضمن أبيات: هم آل أحمد والصيد الجحاجة الزهر الغطارفة العلوية الغرر وقال أيضاً: يا آل أحمد ماذا كان جرمكم فكل أرواحكم بالسيف تنتزع [٩١]. وقال الناشئ الصغير (المتوفى ٣٦٥ هـ): بآل محمّد عرف الصواب وفى أبياتهم نزل الكتاب هم الكلمات والأسماء لاحت لآدم حين عزّ له المتاب وهم حجج الإله على البرايا بهم وبحكمهم لا يستراب إلى آخر الآيات التى يقول فيها: يقول لقد نجوت بأهل بيت بهم يصلى لظى وبهم يثاب [صفحة ٦٧] هم النبأ العظيم وقلّك نوح وباب الله وانقطع الخطاب [٩٢]. وقال البشنوى الكردي (المتوفى بعد ٣٨٠ هـ): أليّة ربى بالهدى متمسكا باثنى عشر بعد النبي مراقباً أبقي على البيت المطهر أهله بيوت قريش للديانة طالباً [٩٣]. وقال أيضاً: يا ناصبى بكل جهدك فاجهد إننى علقت بحب آل محمد الطيبين الطاهرين ذوى الهدى طابوا وطاب وليهم فى المولد واليتهم وبرئت من أعدائهم فاقبل ملائك لا أباً لك أوزد فهم أمان كالنجوم وأنهم سفن النجاة من الحديث المسند [٩٤]. [صفحة ٦٨] وقال صاحب بن عباد (المتوفى ٣٨٥ هـ): أواليكم يا آل بيت محمد فكلكم للعلم والدين فرق وقد أترك

من ناواكم وهو هتكه ينادى عليه مولد ليس يحمده [٩٥]. وقال ابن الحجاج البغدادي (المتوفى ٣٩١ هـ): فما وجدت شفاء تستفيد به إلا ابتغاءك تهجو آل ياسين كافاك ربك إذ أجرتك قدرته بسبب أهل الغر الميامين إلى أن يقول: وإن أجر ابن سعد فى استباحة آل النبوة أجر غير ممنون [٩٦]. وقال أبو الفتح كشاجم (المتوفى ٣٦٠ هـ) من قصيدة: له فى البكاء على الطاهرين مندوحة عن بكاء الغزل [صفحة ٦٩] فكم فيهم من هلال هوى قبيل التمام وبدر أفل هم حجج الله فى خلقه ويوم المعاد على من خذل ومن أنزل الله تفضيلهم فرد على الله ما قد نزل فجدهم خاتم الأنبياء ويعرف ذاك جميع الملل [٩٧]. وقال أيضاً: آل النبى فضلتم فضل النجوم الزاهرة وبهرتم أعداءكم بالمأثرات السائرة [٩٨]. وقال أبو محمد الصورى الشاعر (المتوفى ٤١٩ هـ): فهل ترك البين من أرتجيه من الأولين والآخرين [صفحة ٧٠] سوى حب آل نبى الهدى فحبهم أمل الأملينا هم عدتى لوفاتى هم نجاتى هم الفوز للفائزين [٩٩]. وقال من قصيدة فى أهل البيت: بماذا ترى تحتج يا آل أحمد على أحمد فيكم إذا ما استعدت وأشهر ما يروونه عنه قوله تركت كتاب الله فيكم وعترتى ولكن دنياهم سعت فسعوا لها فلكك التى فلت ضميراً عن التى [١٠٠]. وقال أيضاً من قصيدة: فلهذا أبناء أحمد أبناء على طرايد الآفاق فقراء الحجاز بعد الغنى الأكبر أسرى الشام قتلى العراق [صفحة ٧١] جانبهم جوانب الأرض حتى خلت أن السماء ذات انطباق إن أقصر يا آل أحمد أو أغرق كان التقصير كالإغراق [١٠١]. وقال الشبراوى الشافعى فى كتابه «الاتحاف بحب الأشراف»: آل طه ومن يقل آل طه مستجيراً بجاهكم لا يرد حكم مذهبي وعقد يقينى ليس لى مذهب سواه وعقد [١٠٢]. وقال أيضاً فى قصيدة أخرى: آل بيت النبى ما لى سواكم ملجأ أرتجيه للكرب فى غد لست أخشى ريب الزمان وأنتم عمدتى فى الخطوب يا آل أحمد من يضاهى فخاركم آل طه وعليكم سرادق العز ممتد [صفحة ٧٢] إلى أن يقول فى قصيدته هذه: يا إلهى ما لى سوى حب آل البيت آل النبى طه الممجد أنا عبد مقصر لست أرجو عملاً غير حب آل محمد [١٠٣]. وقال أيضاً من قصيدة: يا كرام الأنام يا آل طه حبكم مذهبي وعقد ولائى ليس لى ملجأ سواكم وذخر أرتجيه فى شدتى ورخائى فاز من زار حيكم آل طه وجنا منكم ثمار العطاء [١٠٤]. وقال أيضاً فى قصيدة: أنا فى عرض آل بيت نبى طهر الله بيتهم تطهيراً سادة أتقياء أعطاهم الله مقاماً ضخماً وملكاً كبيراً [صفحة ٧٣] إلى أن يقول: يا بحور الكمال يا آل طه كم منتهم وكم جبرتم كسيراً هل على غير بيتهم نزل الوحي بجبريل خادماً مأموراً هل سواكم قد أذهب الله عنه الرجس نصاً فى ذكره مسطوراً [١٠٥]. (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) [١٠٦].

الشبهة وآية التطهير

استدلّت الشيعة عن بكرة أبيها بآية التطهير على عصمة العترة الطاهرة، وأفاض المفسرون منهم القول حول الآية وأتوا ببيانات شافية فى وجه دلالتها على عصمتهم. وهناك جماعة من العلماء قاموا بتأليف رسائل مفردة حول دلالتها وشأن نزولها، نشير إلى ما وقفنا عليه فى ما يلى: ١. «السحاب المطير فى تفسير آية التطهير»، للسيد السعيد القاضى نور الله المرعى الشهد عام ١٠١٩ هـ [صفحة ٧٤] ٢. «تطهير التطهير»، تأليف الفاضل الهندى (المتوفى عام ١٠٣٥ هـ). ٣. «شرح تطهير التطهير»، تأليف السيد عبد الباقي الحسينى كتبه شرحاً لكتاب الفاضل الهندى. ٤. «إذهاب الرجس عن حظيرة القدس»، للعلامة الشيخ عبد الكريم بن محمد طاهر القمى. ٥. «الصور المنطبعة»، له أيضاً فى هذا المجال. ٦. «أقطاب الدوائر»، للعلامة عبد الحسين بن مصطفى أحد علمائنا فى القرن الثانى عشر فرغ منه عام ١١٣٨ هـ وطبع عام ١٤٠٣ هـ. ٧. «تفسير آية التطهير»، تأليف الشيخ إسماعيل بن زين العابدين التبريزى الملقب بمصباح (المتوفى عام ١٣٠٠ هـ). ٨. التنوير فى ترجمة رسالة «آية التطهير» باللغة الأوردية، تأليف السيد عباس الموسوى، طبع فى الهند عام ١٣٤١ هـ وهو ترجمة لرسالة السيد القاضى نور الله. ٩. «جلاء الضمير فى حل مشكلات آية التطهير»، للشيخ محمد البحرانى، طبع فى بمباى عام ١٣٢٥ هـ. ١٠. رسالة قيمة فى تفسير آية التطهير، للعلامة المحقق الشيخ لطف الله الصافى، طبعت عام ١٤٠٣ هـ من منشورات دار القرآن الكريم فى قم المقدسة، وله رسالة أخرى فى العصمة طبعت معها، حياه الله وبياه. ١١. «آية التطهير» فى جزءين، للسيد الجليل

على الأبطحى، وقد استقصى الكلام فيها حول المأثورات الواردة فيها فى الجزء الأول، ودلائلها على العصمة فى الجزء الثانى. [صفحہ ٧٥] ١٢. «آية التطهير»، للشيخ محمد مهدى الآصفى وهى دراسة حول مداليل الآية الكريمة (إنما يريد الله...) واختصاصها بأهل البيت (عليهم السلام) نشرتها مؤسسة دار القرآن الكريم فى قم المقدسة سنة ١٤١١ هـ - ١٣. «آية التطهير، روية مبتكرة»، لآية الله الشيخ محمد الفاضل اللكرانى، طبع فى إيران ١٩٧٠ م بالفارسية. و ١٩٨٧ م بالعربية. ١٤. «آية التطهير فى الخمسة أهل الكساء»، للسيد محيى الدين الموسوى الغريفى، طبع فى النجف الأشرف - ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م. ١٥. أخيرها - لا آخرها - ما قدمناه لكم فى هذه الصحائف لكاتب هذه السطور، عفا الله عنه، ورزقه شفاعته محمد وأهل بيته يوم لا ينفع مال ولا بنون. [صفحہ ٧٧]

سمات أهل البيت

اشاره

قد تعرّفت على من هم أهل البيت من خلال التعريف بالحدّ الثامّ الذى عرّف به رسول الله ص أهل بيته، أهل بيت النبوة و الرسالة، وكأنّ التعريف السابق كان بمنزلة التعريف بالحدّ أى التعريف بالذات. ويمكن أن نتعرف عليهم من خلال التعريف على سماتهم وخصوصياتهم التى تشبه التعريف بالرسم والتعريف بالعرضى. و سماتهم و خصوصياتهم كثيرة مبثوثة فى ثنايا الآيات و الأحاديث النبوية، و لكن نقتصر فى المقام على ما ورد من السمات فى الذكر الحكيم. [صفحہ ٧٩]

العصمة

اشاره

لقد تعرفت على ما هو المراد من أهل البيت فى الآية المباركة على وجه لم يدع لقائل كلمة، ولا لمجادل شبهة، فى أنّ المقصود منه هو العترة الطاهرة قراء الكتاب فى كلام النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): فحان البحث للتطرق إلى سماتهم وخصوصياتهم، وهى على قسمين: ١. ما يستفاد من الآية الشريفة. ٢. ما يستفاد من سائر الآيات. أمّا الأول، فالآية - بعد الإمعان فيها - تدلّ على عصمتهم وطهارتهم من الذنوب، ويعلم ذلك من خلال دراسة أمرين: ١. ما هو المراد من الرّجس؟ ٢. هل الإرادة فى الآية المباركة إرادة تكوينية أو تشريعية؟

ما هو المراد من الرّجس؟

اشاره

المراد من الرّجس: هو القذارة الأعم من المادية والمعنوية، وقد اتفق على ذلك أئمة اللغة. قال ابن فارس: الرّجس: أصل يدل على اختلاط، ومن هذا الباب: [صفحہ ٨٠] الرّجس: القذر لأنّه لطح و خلط. [١٠٧]. وقال ابن منظور: الرّجس: القذر، وكل قذر رجس، وفى الحديث: أعوذ بك من الرّجس النّجس. وقد يعبر به عن الحرام والفعل القبيح والعذاب واللعن والكفر. قال الزّجاج: الرّجس فى اللغة كل ما استقذر من عمل... فبالغ الله فى ذم أشياء وسمّاها رجساً، وقال ابن الكلبي: رجس من عمل الشيطان أى مأثم. [١٠٨]. وقد استعملت هذه اللفظة فى الذكر الحكيم ثمانية مرات: ووصف به الخمر والميسر والأنصاب والأزلام والكافر غير المؤمن بالله والميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير والأوثان وقول الزور... إلى غير ذلك من الموارد التى وصفت به فى الذكر الحكيم. ونكتفى بنقل بعض الآيات قال سبحانه: (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ). [١٠٩]. وقال سبحانه: (إِلَّا أَنْ يَكُونَ

مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمٍ خَنِزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ). [١١٠]. وقال سبحانه: (كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) [١١١]، إلى غير ذلك من الآيات. والمتفحص فى كلمات أئمة أهل اللغة، والآيات الواردة فيها تلك اللفظة، [صفحة ٨١] يصل إلى أنها موضوعه بمعنى القذارة التى تستنفر منها النفوس، سواء أكانت مادية، كما وردت فى الآيات، أم معنوية كما هو الحال فى الكافر وعابد الوثن ووثنه. فلو وصف به العمل القبيح عرفاً أو شرعاً، فلأجل أن العمل القبيح يوصف بالقذارة التى تستنفرها الطباع السليمة، وعلى هذا فالمراد من الرجس فى الآية هى الأعمال القبيحة عرفاً أو شرعاً، ويدل عليه قوله سبحانه بعد تلك اللفظة: (وَيَطْهَرُكُمْ تَطْهِيراً)، فليس المراد من هذا التطهير إلا تطهيرهم من الرجس المعنوى الذى لا تقبله النفوس السليمة. وقد ورد نظير قوله: (وَيَطْهَرُكُمْ تَطْهِيراً) فى حق السيدة مريم «عليها السلام»، قال سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ). [١١٢]. نعم: إن لتطهير النفوس وطهارتها مراتب ودرجات، ولا تكون جميعها مستلزمة للعصمة، وإنما الملازم لها هو الدرجة العليا، قال سبحانه: (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ). [١١٣] قال العلامة الطباطبائي: الرجس - بالكسر والسكون - صفة من الرجاسة وهى القذارة، والقذارة هيئة فى النفس توجب التجنب والتنفّر منها، وهى تكون تارة بحسب ظاهر الشئ كرجاسة الخنزير، قال تعالى: (أَوْ لَحْمٍ خَنِزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ) وبحسب باطنه، أخرى، وهى الرجاسة والقذارة المعنوية كالشرك والكفر وأثر العمل السيئ، قال تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَيَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ) [١١٤]، وقال: (وَمَنْ يَرِدْ أَنْ يُضْلَلْهُ يَاجِلٌ ضَلُّهُ ضَلِيلًا) [صفحة ٨٢] حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ). [١١٥]. وأيضاً ما كان فهو إدراك نفسانى وأثر شعورى يحدث من تعلّق القلب بالاعتقاد الباطل أو العمل السيئ وإذهاب الرجس عبارة عن إزالة كل هيئة خبيثة فى النفس تضاد حق الاعتقاد والعمل، وعند ذلك يكون إذهاب الرجس معادلاً للعصمة الإلهية التى هى صورة علمية نفسانية، تحفظ الإنسان من رجس باطنى الاعتقاد وسوء العمل. [١١٦].

المنفى مطلق الرجس

إذا كان المراد من الرجس فى الآية الكريمة هو الأفعال القبيحة عرفاً أو شرعاً والمعاصى صغیرها وكبیرها، فيجب أن يقال: إن المنفى فى الآية هو عموم الرجس، وذلك لأنّ المنفى هو جنس الرجس لا نوعه ولا صنفه، ونفى الجنس يلازم نفى الطبيعة بعامة مراتبها، ولأجل ذلك لم يكتف سبحانه بقوله: (ليذهب عنكم الرجس) بل أكّده بقوله: (وَيَطْهَرُكُمْ تَطْهِيراً)، فلو كان المراد نفى قسم خاص من الرجس - أعنى: الشرك، أو الأوسع منه كالمعاصى الكبيرة - لما كان لهذه العناية وجه. والحاصل: أن المفهوم من قول القائل لا خير فى الحياة، أو لا رجل فى الدار، هو المفهوم من قوله: ليذهب عنكم الرجس، والتفكيك بين المقامين غير مقبول. هذا هو الأمر الأول وإليك الكلام فى الأمر الثانى: [صفحة ٨٣]

هل الإرادة فى الآية تكوينية أم تشريعية؟

إشاره

إن انقسام إرادته سبحانه إلى تكوينية وتشريعية من الانقسامات الواضحة التى لا تحتاج إلى بسط فى القول، ومجمل القول فيها هو أنه إذا تعلّقت إرادته سبحانه على إيجاد شئ وتكوينه فى صحيفة الوجود، فهى الإرادة التكوينية ولا تتخلّف تلك الإرادة عن مراده، وربّما يعبر عنها بالامر التكويني قال سبحانه: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ). [١١٧]. ففى هذا المجال يكون متعلّق الإرادة تكون الشئ وتحققه وتجسّده، والله سبحانه لأجل سعة قدرته ونفوذ إرادته لا تنفك إرادته عن مراده ولا أمره التكويني عن متعلّقه. وأمّا إذا تعلّقت إرادته سبحانه بتشريع الأحكام وتقنينها فى المجتمع حتى يقوم المكلف مختاراً بواجبه، فهى إرادة تشريعية،

ففى هذا المجال يكون متعلق الإرادة تحقيقاً هو التشريع والتقنين، وأما قيام المكلف فهو من غايات التكليف، ولأجل ذلك ربما تترتب عليه الغاية، وربما تنفك عنه، ولا يوجب الانفكاك خللاً فى إرادته سبحانه، لأنه ما أراد إلا التشريع وقد تحقق، كما أنه ما أراد قيام المكلف بواجبه إلا -مختاراً، فقيامه بواجبه أو عدم قيامه من شعب اختياره، هذا هو إجمال القول فى الإرادتين، وللتفصيل محل آخر. والقرائن التى ستمر عليك تدل على أن الإرادة فى الآية تكوينية لا -تشريعية بمعنى أن إرادته التكوينية التى تعلقت بتكوين الأشياء وإبداعها فى عالم الوجود، تعلقت أيضاً بإذهاب الرجس عن أهل البيت، وتطهيرهم من كل رجس وقذر، ومن كل عمل يستنفر منه، وإليك تلك القرائن: [صفحة ٨٤] ١. أن الظاهر من الآية هو تعلق إرادة خاصة بإذهاب الرجس عن أهل البيت، والخصوصية إنما تتحقق لو كانت الإرادة تكوينية، إذ لو كانت تشريعية لما اختصت بطائفة دون طائفة، لأن الهدف الأسمى من بعث الأنبياء هو إبلاغ تشريعاته ودساتيره إلى الناس عامة لا لأناس معينين، ولأجل ذلك ترى أنه سبحانه عندما شرع للمسلمين الوضوء والغسل بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا...) عله بقوله: (وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيَسْمَعَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [١١٨] خاطب سبحانه المؤمنين عامة بالوضوء والغسل وعمل تشريعه العام بتطهيرهم وإتمام نعمته عليهم وهذا بخلاف الآية التى نحن بصدددها، فإنها خصت إرادة تطهيره بجمع خاص تجمعهم كلمة «أهل البيت» وخصهم بالخطاب وقال: «عنكم أهل البيت» أى لا غيركم. وبالجمله فتخصيص تعلق الإرادة بجمع خاص على الوجه الوارد فى الآية، يمنع من تفسير الإرادة بالإرادة التشريعية التى عمت الأمة جميعاً. نعم لا يتوهم من ذلك أن أهل البيت خارجون عن إطار التشريع، بل التشريع فى كل المجالات يعمهم كما يعم غيرهم، ولكن هنا إرادة تكوينية مختصة بهم. ٢. أن العناية البارزة فى الآية المباركة أقوى شاهد على أن المقصود بالإرادة، الإرادة التكوينية لا التشريعية، لوضوح أن تعلق الإرادة التشريعية بأهل البيت لا يحتاج إلى العناية فى الآية، وإليك بيان تلك العناية: [صفحة ٨٥] أ. ابتدأ سبحانه كلامه بلفظ الحصر، ولا -معنى له إذا كانت الإرادة تشريعية، لأنها غير محصورة بأناس مخصوصين. ب. عيّن تعالى متعلق إرادته بصورة الاختصاص، فقال: (أهل البيت) أى أخصكم أهل البيت. ج. قد يبين متعلق إرادته بالتأكيد، وقال بعد قوله: (ليذهب عنكم الرجس... ويطهركم). د. قد أكد أيضاً بالإتيان بمصدره بعد الفعل، وقال: (ويطهركم تطهيراً) ليكون أوفى فى التأكيد. هـ. أنه سبحانه أتى بالمصدر نكرة، ليدل على الإكبار والإعجاب، أى تطهيراً عظيماً معجباً. و. أن الآية فى مقام المدح والثناء، فلو كانت الإرادة إرادة تشريعية لما ناسب الثناء والمدح. وعلى الجملة: العناية البارزة فى الآية تدل بوضوح على أن الإرادة هناك غير الإرادة العامة المتعلقة لكل إنسان حاضر أو باد، ولأجل ذلك فإن المحققين من المفسرين يفسرون الإرادة فى المقام بالإرادة التكوينية ويجيبون عن كل سؤال يطرح عنها. قال الشيخ الطبرسى: إن لفظه (إنما) محقق لما أثبت بعدها، نافية لما لم يثبت، فإن قول القائل: إنما لك عندى درهم، وإنما فى الدار زيد، يقتضى أنه ليس عندى سوى الدرهم وليس فى الدار سوى زيد، وعلى هذا فلا تخلو الإرادة فى الآية أن تكون هى الإرادة المحضة التشريعية، أو الإرادة التى يتبعها التطهير وإذهاب الرجس؛ ولا يجوز الوجه الأول، لأن الله تعالى قد أراد من كل مكلف هذه الإرادة المطلقة، فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق، ولأن هذا [صفحة ٨٦] القول يقتضى المدح والتعظيم لهم بغير شك وشبهة ولا -مدح فى الإرادة المجردة، فثبت الوجه الثانى، وفى ثبوته ثبوت عصمة المعنيين بالآية من جميع القبائح. [١١٩]. وقال السيد ابن معصوم المدنى فى تقريب دلالة الآية على عصمة المعنيين بالآية: (إنما) محقق لما أثبت بعدها، نافية لما لم يثبت، فإن قول القائل: إنما لك عندى درهم، وإنما فى الدار زيد، يقتضى أنه ليس له عندى سوى درهم وليس فى الدار سوى زيد، إذا تقرر هذا فلا -تخلو الإرادة فى الآية أن تكون هى الإرادة المطلقة أو الإرادة التى يتبعها التطهير وإذهاب الرجس، فلا يجوز الوجه الأول، لأن الله تعالى قد أراد من كل مكلف هذه الإرادة المطلقة، فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق. وهذا القول يقتضى المدح والتعظيم لهم بغير شك ولا شبهة ولا مدح فى الإرادة المجردة، فثبت الوجه الثانى، وفى ثبوته ثبوت عصمة المعنيين بالآية من جميع القبائح، لأن اللام فى الرجس للجنس، ونفى الماهية نفى لكل جزئياتها، وقد علمنا أن من عدا ما ذكرناه من أهل

البيت حين نزول الآية غير مقطوع على عصمته، فثبت أن الآية مختصة بهم، لبطلان تعلّقها بغيرهم. وما اعتمدوا عليه من أن صدر الآية وما بعدها فى الأزواج، فجوابه أن من عرف عادة العرب العرباء فى كلامهم واسلوب البلغاء والفصحاء فى خطابهم لا يذهب عليه أن هذا من باب الاستطراد، وهو خروج المتكلم من غرضه الأول إلى غرض آخر ثم عوده إلى غرضه الأول، واتفقت كلمة أهل البيان على أن ذلك من محاسن البديع فى الكلام نثراً ونظماً والقرآن المجيد وخطب البلغاء وأشعارهم مملوءة من ذلك. [١٢٠]. [صفحة ٨٧]

اسئلة و اجوبة

اشاره

قد تعرفت على مفاد الآية: واتضح لديك أن القرائن الداخلية فى نفس الآية تدل بوضوح على أن الإرادة الواردة فى الآية إرادة تكوينية تعلّقت بطهارة أهل البيت وإذهاب الرجس عنهم، ويكون وزان الإرادة فيها وزان الإرادة الواردة فى الآيات التالية ونظائرها: ١. (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ). [١٢١]. ٢. (وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ). [١٢٢]. ٣. (وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ). [١٢٣]. وعند ذلك تطرح فى المقام أسئلة لا بد من الإجابة عليها:

هل الإرادة التشريعية تتعلق بفعل الغير؟

هل يصح تعريف الإرادة التشريعية بالإرادة المتعلقة بفعل الغير، كتكليفه سبحانه عباده بالصلاة والزكاة، وتكليف الأمر البشرى غيره بالسقى والرعى؟ وإذا كانت الإرادة التشريعية عبارة عمّا ذكر، فتكون الإرادة التكوينية عبارة عن تعلّقها بفعل نفس المريد كتعلّق إرادته سبحانه بخلق السماوات والأرض، وإرادة غيره بالأكل والشرب؟ الجواب: إن تعريف الإرادة التكوينية بما ذكر وإن كان صحيحاً، لكن [صفحة ٨٨] تعريف التشريعية منها بتعلّقها بفعل الغير غير صحيح قطعاً، وذلك لأن الإرادة لا تتعلّق إلا بأمر اختياري وهو فعل المريد، وأمّا فعل الشخص الآخر، فهو بما أنه خارج عن اختيار المريد، لا تتعلّق به إرادته، وكيف يصح لشخص أن يريد صدور فعل من الغير مع أن صدوره منه تابع لإرادة ذلك الغير وليس تابعاً لإرادة المريد الآخر؟ وإن شئت قلت: إن زمام فعل الفاعل المختار بيد الفاعل المباشر، فلو أراد له قيام به. ولو لم يرد له لما قام به وليس زمامه بيد الأمر، حتى يريده منه جداً ولا تصييره إرادة الأمر مسلوب الاختيار ولا تجعله مضطراً مقهوراً مسخراً فى مقابل إرادة الأمر، لأن المفروض أن الفاعل بعد، فاعل مختار، ومن هذا شأنه لا تتعلّق بفعله، إرادة الغير الجديّة، لأن معنى تعلّقها بفعل الغير أنه فى اختيار المريد ومتناوله، ويوجد بإرادته وينتفى بانتفائه، مع أنه ليس كذلك وإنما يوجد بإرادة الفاعل المباشر وينتفى بانتفاء إرادته، ولا ملازمة بين إرادة الأمر وإرادة المأمور ولأجل ذلك كثيراً ما يعصى ويخالف. وفى الجملة: ليست ماهية الإرادة التشريعية أمراً يخالف ماهية الإرادة التكوينية، بل الكل من واحد تختلفان فى الاسم وتتحدان فى الماهية، والجميع يتعلّق بفعل نفس المريد، غير أن المراد فيهما مختلف حسب الاعتبار، وهو فى التكوينية، عبارة عن الفعل الخارجى الصادر عنه مباشرة، كالتكوين والتصنيع، سواء كان المريد هو الله سبحانه أم أحد عباده القادرين على الأفعال الخارجية باقداره، ولكنه فى التشريعية عبارة عن نفس الطلب والإنشاء بالإيحاء والإشارة واللفظ والكتابة، وهو أيضاً فعل المريد الواقع فى اختياره، وأمّا قيام الغير بالمطلوب فهو من غايات إرادة المريد ومقاصده وأغراضه، وهى تترتب [صفحة ٨٩] تارة، وتنفك أخرى،

فلو تكونت فى نفسه مبادئ الخوف والرجال لقام به وإلا فلا يقوم به ولا تتحقق الغاية لكن تتم عليه الحجة. وعلى ذلك فما اشتهر على الألسن من أن الإرادة التشريعية عبارة عن تعلق إرادة الأمر بفعل الغير تسامح فى التعبير ومن باب إقامة الغاية مكان ذيلها. والذى يوضح ذلك: أن إرادته سبحانه لا تنفك عن مراده، ومن المستحيل أن يخاطب شيئاً بـ «كن» ولا يتحقق، ولسعة قدرته وعموميتها، قال سبحانه: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [١٢٤]، فلو تعلقت إرادته بفعل العباد كالصلاة والصوم لما انفك عنهم ولو تعلقت على إيمانهم وهدايتهم، لما وجد على أديم الأرض عاص ومنتزح، قال سبحانه: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ) [١٢٥]، وتكون نتيجة ذلك كونهم مجبورين فى قبول الهداية، ومضطرين إلى الطاعة، فلا يقام لمثلها وزن ولا قيمة، وهذا يعرب بوضوح عن أن متعلق إرادته فى مجال التشريع هو فعل نفس المشرع وهو التشريع، وهو بعد غير منفك عن إرادته، موجود معها.

هل الإرادة التكوينية توجب سلب الاختيار؟

لو كانت الإرادة فى المقام إرادة تكوينية فبما أن إرادته سبحانه لا تتخلف عن المراد فلازمها هنا كون طهارتهم وابتعادهم عن الرجس أمراً جبرياً لا يتخلف، وهذا لا يعد فضيلة وثناء لأهل البيت مع أن الآية بصدد الثناء عليهم. وقد أجاب عنه المحققون على وجه الإجمال وقالوا: إن القدرة والتمكن من فعل المعصية ثابت للمعصوم، والعصمة مانع شرعى، ولا منافاة بين عدم القدرة الشرعية والقدرة الذاتية، وهذا الجواب بإجماله كاف لأهل التحقيق ولكن [صفحة ٩٠] يحتاج إلى إيضاح، فنقول: إن مشكلة الجبر تنحل بالتعرف على كيفية تعلق إرادته سبحانه بأفعال العباد، والإيمان فى هذا الموضوع يكفى لحل بعض المشاكل المطروحة فى مسألة الجبر والاختيار. وبعبارة أخرى: هل تعلقت إرادته سبحانه بصدور أفعال العباد عنهم باختيارهم وإرادتهم، أم تعلقت بصدورها منهم مطلقاً وإن لم تكن مسبقة باختيارهم وإرادتهم، فالجبر لازم القول الثانى، والاختيار نتيجة القول الأول، والحق هو القول الأول فنقول فى توضيحه: إن لازم التوحيد فى الفاعلية والخالقية - كما هو منصوص الآيات ومقتضى البراهين - هو أن كل ما يقع فى صفحة الوجود سواء كان فعلاً للعباد أم لغيرهم لا يخرج عن إطار الإرادة التكوينية لله سبحانه، ولا يقع شئ فى الكون إلا بإرادته وإذنه سبحانه، قال تعالى: (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ) [١٢٦]، وهذه الآية وغيرها تدلّ بصراحة على أن أفعال العباد حلالها وحرامها غير خارجة عن إطار الإرادة التكوينية لله وإلا لزم أن يكون الإنسان أو الفواعل الأخر مستقلة فى الفعل والتأثير، وهو يستلزم الاستقلال فى الذات، وهو عين الشرك ونفى التوحيد فى الأفعال والخالقية. ومع ذلك فليس العباد مجبورين فى أفعالهم وتصرفاتهم، لأن إرادته سبحانه وإن تعلقت بأفعالهم لكن إرادته سبحانه متعلقة بأفعالهم بتوسط إرادتهم الخاصة وفى طول مشيئتهم، وبذلك صح أن يقال لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين. [صفحة ٩١] وعلى ذلك فالله سبحانه وإن أراد طهارتهم عن الذنوب بالإرادة التكوينية ولكن تلك الإرادة تعلقت بها، لما علم سبحانه أنهم بما زدوا من إمكانات ذاتية ومواهب مكتسبة نتيجة تربيتهم وفق مبادئ الإسلام، لا يريدون إلا ما شرع لهم سبحانه من أحكام، فهم لا يشاءون إلا ما يشاء الله، وعند ذلك صح له سبحانه أن يخبر بأنه أراد تكويناً إذهاب الرجس عنهم، لأنهم (عليهم السلام) ما داموا لا يريدون لأنفسهم إلا الجرى على وفق الشرع لا يفاض عليهم إلا هذا النوع من الوصف. وحصيله الكلام: أن مبنى الإشكال هو الغفلة عن كيفية تعلق إرادته سبحانه بأفعال العباد حيث توهم المستشكل: أولاً: أن أفعال العباد خارجة عن إطار الإرادة التكوينية لله سبحانه، وغفل عن أن هذا النوع من الاعتقاد يساقو الشرك ويصادم التوحيد. وثانياً: أن سبق الإرادة التكوينية على أفعال العباد يستلزم سلب الاختيار عنهم، وغفل عن أن إرادته سبحانه إنما تتعلق بتوسط إرادة العباد واختيارهم، فهم إذا أرادوا لأنفسهم شيئاً، فالله سبحانه يريد ذلك الشئ لهم تكويناً، وليس فى ذلك أية راحة للجبر، بل هو الأمر بين الأمرين. وعندئذ يكون المراد من تطهيرهم - بعد تجهيزهم بإدراك الحق فى الاعتقاد والعمل، وإعطائهم البصيرة الكاملة

لمعرفة الحق فى مجال الاعتقاد والعمل - تعلق إرادته التكوينية بطهارتهم من الذنوب، لأجل تعلق إرادتهم بذلك، فقد تعلق إرادته سبحانه بتنزيههم عن طريق إرادتهم واختيارهم، وأين هذا من الجبر؟ تفسير آخر للإرادة بالتكوينية ما ذكرناه فى كيفية تعلق إرادته سبحانه بأفعال العباد، جواب عام سار فى [صفحة ٩٢] جميع الموارد ورافع للإشكال فى مجال الجبر، وأن من أعضل الموارد فى الجبر والاختيار، هى تحليل كيفية تعلق إرادته بأفعال العباد وأنه: هل يوجب الجبر ويسلب الاختيار، باعتبار أن إرادته لا تنفك عن المراد، أم لا؟! لأن إرادته تعلق بصدور أفعالهم عن أنفسهم عن مبادئها المكونة فيهم وهى إرادتهم واختيارهم، فلو صدرت عنهم بلا هذه الخصوصية لزم انفكاك إرادته عن مراده. ولما استشكل هذا المطلب على بعضهم انصرفوا إلى إخراج أفعال العباد عن إطار إرادته سبحانه، وإنما تتعلق بالكائنات دون أفعالهم، وهو كما ترى، لأنه يستلزم تحقق شئ فى صحيفة الوجود بغير إذنه وإرادته، مع أن مقتضى التوحيد فى الخالقية انتهاء كل ما فى عالم الإمكان إلى وجوده وخالقيته، وبالتالي إلى إرادته، فإخراج أفعال العباد عن مجال إرادة الله، يخالف الأسس التوحيدية التى جاء بها القرآن ودعمها العقل. إلا أن فى مسألة العصمة وكيفية تعلق إرادته تعالى بعصمة المعصوم تحليلاً آخر يختص بهذا المقام ولا يتعداه. وحاصل هذا التحليل يتوقف على معرفة كيفية العصمة وحقيقتها، فنقول: إن حقيقة العصمة ترجع إلى الدرجة العليا من التقوى، بمعنى أن التقوى إذا بلغت قمتها تعصم الإنسان عن اقتراف الذنب وجميع القبائح. وإن شئت قلت: العصمة نتيجة العلم القطعى الثابت والعرفان بعواقب المعصية علماً يصد الإنسان عن اجترار المعاصى واقتراف المآثم، كالإنسان الواقف أمام الأسلاك التى يجرى فيها التيار الكهربائى، فإنه لا يقدم بنفسه على إمساكها. [صفحة ٩٣] وبعبارة ثالثة: العصمة: الاستشعار بعظمة الرب وكماله وجلاله استشعاراً منقطع النظر حيث يحدث فى المستشعر التفانى فى الحق، والعشق لجماله، وكماله، بحيث لا يستبدل برضاه شيئاً. فإذا كانت حقيقة العصمة نفس هذه الحقائق أو قريباً منها، فليس اتصاف الإنسان بهذه الحقائق موجباً للجبر وسالباً للاختيار، بل المعصوم مع هذه المواهب الإلهية قادر على اقتراف المعاصى وارتكاب الخطايا غير أنه لأجل حصوله على الدرجة العليا من التقوى، والعلم القطعى بآثار المعاصى والاستشعار المنقطع النظر بعظمة الخالق، يختار الطاعة وترك المعصية مع القدرة على خلاف ذلك، فحاله كالوالد العطوف لا يقدم على قتل ولده ولو أعطيت له الكنوز الكثيرة. إن هذه الحقائق الموهوبة للمعصوم أشبه بجبل يلقى إلى الغارق فى البحر والساقط فى البئر حتى يتمسك به وينجى نفسه، فلا شك أن العاقل يتمسك به دائماً وينجى نفسه، ولكن هذا العمل لا يخالف قدرته على ترك التمسك به وإلقاء نفسه فى مهاوى الهلكة. فهذه الحقائق النفسانية الموهوبة ليست إلا أسباباً لترك العصيان ومقتضيات للطاعات، ومعدات لقرب العبد من ربه، ومع ذلك تتوسط بينها وبين فعل العبد من طاعة أو عصيان، إرادته واختياره، فليست هذه المواهب عللاً تامة لتوجه العبد إلى جانب واحد وانحيازه عن جانب آخر، بل هى أسباب مقربة ومعدات للإرادة، ومع ذلك كله فاختيار المعصوم وإرادته باقيا على حالهما. فمعنى تعلق إرادته سبحانه بعصمتهم ليس تعلقها بالطاعة وترك العصيان، بل معناه تعلق إرادته التكوينية بإفاضة هذه المواهب عليهم وجعلها فى مكان [صفحة ٩٤] نفوسهم وتحليتهم بهذه الحلية الإلهية، ولكن هذا الجعل والتحلية لا يهدف إلى كونهم مكتوفى الأيدي أمام التكاليف ومسوقين إلى جانب واحد، فالاشتباه فى المقام حصل فى تعيين ما هو المفاض من الله سبحانه على هذه الشخصيات فتخيل: «أن المفاض هو العصمة المفسرة بترك المعصية ونفس الطاعة» غفلة عن أن المفاض هو هذه الكيفيات والصفات العليا النفسانية عليهم، وهى توجد استعداداً فى النفس بترك العصيان واختيار الطاعة مع القدرة على الخلاف. نعم: لو كان هناك جبر، فالجبر فى تحليتهم بهذه المواهب والعطايا الإلهية، ولكنهم معها مختارون فى التوجه، لآى طرف أرادوا، وإن كانوا لا يشاءون إلا الطاعة وترك المعصية. ما هو الوجه لتفسير الإرادة بالتشريعية؟ ثم إن الجمهور لما ذهبوا إلى كون الإرادة تشريعية احتالوا فى توجيهها يقول المفسر المعاصر سيد قطب فى هذا الصدد: إنه سبحانه يجعل تلك الأوامر - الأوامر الواقعة قبل الآية من قوله: (وقرن... ولا تبرجن) - وسيلة لإذهاب الرجس وتطهير البيت، فالتطهير وإذهاب الرجس يتم بوسائل يأخذ الناس بها أنفسهم ويحققونها فى واقع الحياة العملى... ويختم هذه التوجيهات لنساء النبى بمثل ما بداها، بتذكيرهن بعلو مكانتهن وامتيازهن على النساء بمكانتهن من رسول الله وبما أنعم الله عليهن فجعل بيوتهن مهبط

القرآن ومنزل الحكمة وتشرف النور والهدى والإيمان، وأنه لحظ عظيم يكفى التذكّر به لتحس النفس جلالة قدره ولطيف صنع الله فيه وجزالة النعمة التي لا يعد لها نعيم. [١٢٧]. [صفحة ٩٥] وحاصل ما ذكره مبنى على نزول القرآن فى مورد نساء النبى، وأنه سبحانه علّل خطاباته لهنّ بأنّه يريد من هذه التكاليف إذهاب الرجس عنهنّ، ويكون المعنى أنّ التشديد فى التكاليف وتضعيف الثواب والعقاب ليس لانتفاع الله سبحانه به، بل لإذهاب الرجس عنكنّ وتطهيركنّ. ولا يخفى أنّ ما ورد فى الآيات من الأحكام ليست أحكاماً خاصة بنساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهذا قوله سبحانه قبل آية التطهير: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ). [١٢٨]. وهذا قوله سبحانه بعد الآية: (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة...) كلّها أحكام عامة لنساء المسلمين، فالله سبحانه بهذه التكاليف يريد أن يطهر الكل وإذهاب الرجس عن عموم النساء، لا عن زوجات النبى خاصة، وعندئذ لا وجه لتخصيصهنّ بالخطاب بالعناية التي عرفت. وإنّما ذهب بعض الجمهور إلى ما ذهب، لأجل أنّهم تصوّروا نزول الآية فى حق نساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، فاحتالوا لتفسير الإرادة بما ذكره سيد قطب ونظراؤه، وإنّما ذهبوا إلى ذلك بزعمهم اتصال الآية بما قبلها من الآيات، مع أنّه سيوافيك أنّ الآية آية التطهير آية مستقلة لا صلة لها بما قبلها ولا ما بعدها، وإنّما وضعت فى هذا الموضع لمصلحة خاصة سنشير إليها، والأحاديث بكثرتها البالغة ناصة على نزول الآية وحدها، ولم يرد نزولها فى ضمن آيات نساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا ذكره أحد حتى أنّ القائل باختصاص الآية بأزواج النبى ينسب القول إلى عكرمة وعروة لا إلى الرواية. فالآية لم تكن بحسب النزول من آيات النساء، ولا متصلة بها، وستوافيك [صفحة ٩٦] الروايات الكثيرة الواردة فى هذا المضمّر.

هل العصمة الموهوبة مفخرة؟

وهذا سؤال ثالث يتردد فى المقام وفى غيره، وقد طرحناه عند البحث عن العصمة على وجه الإطلاق ونطرحه هنا بشكل آخر، وهو أنّ عصمة أهل البيت لو كانت أمراً موهوباً من الله سبحانه كيف يمكن أن تعد مفخرة لأهله؟ والإجابة عن هذا السؤال واضحة بعد الوقوف على معنى العصمة الموهوبة لهم، وقد عرفت أنّ المراد من هبتها لهم هو إعطاء المقتضيات والمعدات لهم التى لا تسلب الاختيار عنهم وهم بعد قادرون على الطاعة والعصيان والنقض والإبرام، والسائل تخيل أنّ العصمة الموهوبة هى نفس ترك العصيان والمخالفة، فزعم أنّ شيئاً مثلها لا يعد فخراً ولا يوجب ثناءً، وقد أوضحنا هذا فى السؤال السابق، فراجع.

هل الآية تدل على فعلية التطهير؟

وربّما يقال: إنّ أقصى ما تدل عليه الآية هو إخباره سبحانه عن أنّه يريد إذهاب الرجس عن أهل البيت وتطهيرهم، وليس فى الآية ما يدل على تحقّق هذه الإرادة بالفعل، وإنّها صدرت منه سبحانه، مع أنّ القائلين بعصمة أهل البيت يذهبون بدلالاتها على اتصافهم بالعصمة، وفى هذا الصدد ينقل الشيخ زين الدين البياضى العاملى إشكالاً عن المخالف ويقول: (يريد) لفظ مستقبل، فلا دليل على وقوعه. [١٢٩]. [صفحة ٩٧] ولا يخفى أنّ هذا الإشكال نشأ من اتخاذ موقف خاص بالنسبة إلى أهل البيت بشهادة أنّ هذه اللفظة وردت فى كثير من الآيات مع أنّه ما خطر ببال أحد مثل هذا الإشكال قال سبحانه: (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ) [١٣٠]، وقال: (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) [١٣١]، وقال: (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ) [١٣٢]، وقال: (وَيَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) [١٣٣]، أضف إلى ذلك أنّ هناك قرينة واضحة على تحقّق الإرادة بشهادة أنّ الآية فى مقام المدح والثناء. وأمّا الإتيان بصيغة المستقبل والعدول عن الماضى، فهو لأجل ظهور فعل المستقبل فى الدوام، وهو سبحانه يريد إفادة دوام هذه الإرادة واستمرارها مدى الأيام والسنين.

هل الاذهاب يستلزم الثبوت؟

خلاصة هذا السؤال ترجع إلى أن الإذهاب يتعلق بشيء موجود، فعلى ذلك يستلزم أن يكون هناك رجس موجود أذهب الله وطهرهم منه، وهذا يضاد مقالة أهل العصمة، ولكن السائل أو المعارض غفل عن أن هذه التراكيب كما تستعمل فى إذهاب الشيء الموجود، كذلك تستعمل فيما إذا لم يكن موجوداً، ولكن كانت هناك مقتضيات ومعدات له حسب الطبيعة الإنسانية وإن لم يكن موجوداً بالفعل كقول الإنسان لغيره: أذهب الله عنك كل مرض، ولم يكن حاصلاً له، ولكن كانت بعض المعدات للمرض موجودة. [صفحة ٩٨] وفى المقام نزيد توضيحاً: إن الإنسان حسب الطبيعة الأولى مجهز بالغرائر والميول العادية المتجاوزة عن الحدود، ولم يشذ أهل البيت عنها ولم تكن لهم فى العالم الجسمانى خلقه خاصة بهم، فكانت هناك أرضية صالحة للتعدى والطغيان، فلما جهزوا بهذه الغرائر أولاً ثم بالعصمة - بالمعنى الذى عرفت - ثانياً صح أن يقال: إنه سبحانه أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً من العصيان. وهذه الأسئلة وأشباؤها لا تحتاج إلى البسط فى المقال، ولأجل ذلك نظوى الكلام عنها. [صفحة ٩٩]

المحبة فى قلوب المؤمنين

إن الإيمان بالله والعمل الصالح يورث محبة فى قلوب الناس، إذ للإيمان أثر بالغ فى القيام بحقوق الله أولاً، وحقوق الناس ثانياً، لا سيما إذا كان العمل الصالح نافعاً لهم، ولذلك استقطب المؤمنون حب الناس، لدورهم الفعال فى إصلاح المجتمع الإنسانى. وهذا أمر ملموس لكل الناس، وإليه يشير قوله سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا). [١٣٤] وبما أن الأنبياء بلغوا قمة الإيمان كما بلغوا فى العمل الصالح ذروته، نرى أن لهم منزلة كبيرة فى قلوب الناس لا يضاهيها شيء، لأنهم صرفوا أعمارهم فى سبيل إصلاح أمور الناس وإرشادهم إلى مافيه الخير والرشاد. هذا حال الأنبياء ويعقبهم الأوصياء والأولياء والصلحاء. أخرج أبو إسحاق السعدوى فى تفسيره بأسناده عن البراء بن عازب، قال: [صفحة ١٠٠] قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلى: «اللهم اجعل لى عندك عهداً واجعل لى فى صدور المؤمنين مودة»، فأُنزل الله تعالى الآية المذكورة آنفاً. إن أهل البيت (عليهم السلام) لأجل انتسابهم إلى البيت النبوى الرفيع حازوا مودة الناس واحترامهم بكل وجودهم. وقد أُشير إلى ذلك فى آثارهم وكلماتهم. روى معاوية بن عمار عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن حب على (عليه السلام) قُذِف فى قلوب المؤمنين، فلا يُحبّه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق، وإن حب الحسن والحسين (عليهما السلام) قُذِف فى قلوب المؤمنين والمنافقين والكافرين فلا ترى لهم ذاماً»، ودعا النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) الحسن والحسين (عليهما السلام) قرب موته فقربهما وشمهما وجعل يرشهما وعيناه تهلان. [١٣٥]. وقد تعلقت مشيئته سبحانه على إلقاء محبتهم فى قلوب المؤمنين الصالحين، حتى كانت الصحابة يميزون المؤمن عن المنافق بحب على أو بغضه. روى أبو سعيد الخدرى، قال: إن كنا نعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم على بن أبى طالب (عليه السلام). [١٣٦]. وقد تضافر عن على أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «والله فلق الحبة وبرأ النسمة، أنه لعهد النبى الأمى إلى: أنه لا يحبنى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلا منافق». [١٣٧]. والله أنه ممّا عهد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه لا يبغضنى إلا منافق ولا يحببنى إلا [صفحة ١٠١] مؤمن. [١٣٨]. وقد أعرب عن ذلك الإمام على بن الحسين (عليهما السلام) فى خطبته فى جامع دمشق، عند ما صعد المنبر وعرف نفسه فحمد الله وأثنى عليه، ثم خطب خطبة أبكى منها العيون، وأوجل منها القلوب، ثم قال: «أيها الناس أعطينا ستاً وفضلنا سبع، أعطينا: العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة فى قلوب المؤمنين». [١٣٩]. ولا عجب فى أنه تبارك و تعالى سمّاهم كوثرأى الخير الكثير، وقال: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ...) قال الرازى: الكوثر أولاده، لأن هذه السورة إنما نزلت على من عابه (عليه السلام) بعدم الأولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسلأ يقون على مزالمان فانظر

كم قتل من أهل البيت (عليهم السلام) والعالم ممتلئ منهم ولم يبق من بنى أُميَّة فى الدنيا أحد يعبأ به، ثم انظر كم كان فيها من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا (عليهم السلام). [١٤٠]. إنَّ محبة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) للحسين (عليه السلام) لم تكن محبة نابعة من حبه لنسبه بل كان واقفاً على ما يبلغ إليه ولده الحسين (عليه السلام) فى الفضل والكمال والشهادة فى سبيله، ونجاة الأُميَّة من مخالب الظلم، والثورة على الظلم والطغيان وهناك كلام للعلامة المجلسى يقول: إنَّ محبة المقربين لأولادهم وأقربائهم وأحبائهم ليست من جهة الدواعى [صفحة ١٠٢] النفسانية والشهوات البشرية، بل تجردوا عن جميع ذلك وأخلصوا حُبَّهم، ووَدَّهم لله. وحُبَّهم لغير الله إنَّما يرجع إلى حبهم له، ولذا لم يحبَّ يعقوب من سائر أولاده مثل ما أحب يوسف (عليه السلام) منهم، ولجهلهم بسبب حبه له نسبوه إلى الضلال، وقالوا: نحن عصبه، ونحن أحقُّ بأن نكون محبوبين له، لأنَّ أقوىاء على تمشية ما يريد من أمور الدنيا، ففرط حبه يوسف إنَّما كان لحب الله تعالى له واصطفائه إيَّاه فمحبوب المحبوب محبوب. [١٤١]. [صفحة ١٠٣]

استجابة دعائهم

الابتهاال إلى الله وطلب الخير منه أو طلب دفع الشرِّ ومغفرة الذنوب أمر مرغوب، يقوم به الإنسان تارة بنفسه، وأخرى يتوصل إليه بدعاء الغير. واستجابة الدعاء رهن خرق الحجب والوصول إليه سبحانه، حتى يكون الدعاء مصداقاً لقوله سبحانه: (أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [١٤٢] وليس كالدعاء مستجاباً وصاعداً إليه سبحانه، فإنَّ لاستجابة الدعاء شروطاً مختلفة قلَّما تجتمع فى دعاء الإنسان العادى. نعم هناك أناس مطهرون من الذنوب يكون دعاؤهم صاعداً إلى الله سبحانه ومستجاباً قطعاً ولذلك حثَّ سبحانه المسلمين على التشرف بحضرة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وطلب الاستغفار منه، قال سبحانه: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً). [١٤٣]. وقال سبحانه: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ [صفحة ١٠٤] وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ). [١٤٤]. ولذلك طلب أبناء يعقوب أباهم أن يستغفر فى حقهم (قلوا يا أبانا استغفر لنا ذُنُوبنا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ). [١٤٥]. ويظهر ممَّا جرى بين النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وفد نجران من المحاجة والمباهلة أنَّ أهل البيت إذ آمنوا لدعاء النبيص يُستجاب دعاءه، فقد وفد نصارى نجران على الرسول وطلبوا منه المحاجة، فحاجَّهم الرسول ببرهان عقلى تشير إليه الآية المباركة: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ). [١٤٦]. فقد قارعهم النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا البيان البالغ الذى لا يرتاب فيه ذو مريَّة، حيث كانوا نصارى نجران يحتجون ببنوة المسيح بولادته بلا أب فوافاهم الجواب: «بأنَّ مثل المسيح كمثل آدم، إذ لم يكن للثانى أب ولا أمُّ مع أنَّه لم يكن إبناً لله سبحانه» وأولى منه أن لا يكون المسيح إبناً له. ولما أفحموا فى المحاجة التجأوا إلى المباهلة والملاعنة، وهى وإن كانت دائرة بين الرسول ورجال النصارى، لكن عمَّت الدعوة للبناء والنساء، ليكون أولى على اطمئنان الداعى بصدق دعوته وكونه على الحقِّ وذلك لما أودع الله سبحانه فى قلب الإنسان من محبة الأولاد والشفقة عليهم، فتراه يقيهم بنفسه ويركب الأهوال والإخطار دونهم، ولذلك قدَّم سبحانه فى الآية المباركة الأبناء على النساء، وقال: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَغِيدٍ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ [صفحة ١٠٥] عَلَى الْكَافِرِينَ). وحيث إنَّه سبحانه أتى بلفظ الأبناء بصيغة الجمع يعرب عن أنَّ طرف الدعوى لم يكن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وحده بل أبنائه ونسائه، ولذلك عدَّت دعوتهم الآية نفس النبى ونساء النبى وأبنائه من بين رجال الأمة ونسائهم وأبنائهم. ثم إنَّ المفسرين قد ساقوا قصة المباهلة بشكل مبسوط منهم صاحب الكشاف، قال: لما دعاهم إلى المباهلة، قالوا: حتى نرجع وننظر، فلما تخالوا. قالوا للعاقب، وكان ذا رأيهم: يا عبد المسيح ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم يامعشر النصارى أنَّ محمدًا نبى مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبياً قط، فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن، فإن أبيتكم إلا الف دينكم والإقامة على ما أتمت عليه، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم. فأتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد غدا محتضناً الحسين، آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه، وعلى خلفها، وهو يقول: «إذا أنا دعوت فأمنوا». فقال

أسقف نجران: يا معشر النصارى! إني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يُزيل جبلاً من مكانه لآزاله بها فلا تباهلوا فتَهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصرانى إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك، وأن نقرّك على دينك، ونثبت على ديننا. قال: «إذا أبيت المباهلة، فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم». [صفحة ١٠٦] فأبوا، قال: «فأني أناجزكم»، فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا- تغزونا، ولا- تخيفنا، ولا تردّنا عن ديننا، على أن نودى إليك كلّ عام ألفى حلّة، ألف فى صفر، وألف فى رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد، فصالحهم على ذلك. وقال: «والذى نفسى بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران، ولو لا-عنوا لمسخوا قرده وخنازير ولا ضطرم عليهم الوادى ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلّهم حتى يهلكوا». وعن عائشة أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج وعليه مرط مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم فاطمة، ثم على، ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت). [١٤٧]. الشاهد على استجابة دعائهم أمران: أ: قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أنا دعوت فأمنوا، فكان دعاء النبي يصعد بتأمينهم، وأنى مقام أعلى وأنبى من أن يكون دعاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صاعداً بفضل دعائهم. ب: قول أسقف نجران: «أنى لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لآزاله بها» والضمير يرجع إلى الوجوه، أى لازاله بدعائهم أو لازاله بالقسم على اللهيبهم، وقد أيد القول الثانى ابن البطريق فى «العمدة» حيث قال: المباهلة بهم تصدق دعوى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد صار إبطال محاكمة أهل نجران فى القرآن الكريم بالقسم على الله بهم. [١٤٨]. [صفحة ١٠٧] وقد تركت مباهلة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهله (صلى الله عليه وآله وسلم) يشهد بها ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن عامر بن سعد بن أبى وقاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبى سفيان سعداً، فقال: ما يمنعك أن تسبّ أبا تراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلن أسبّه، لأن تكون لى واحدة منهنّ أحبّ إلى من حمر النعم. سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول له وقد خلفه فى بعض مغازيه، فقال له على: يا رسول الله، خلّفتى مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا- أنّه لا- نبوة بعدى؟ وسمعت يوم خير، يقول: لأعطينّ الراية رجلاً- يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله. قال: فتناولنا لها، فقال: ادعوا لى عليّاً، فأتى به أرمداً العين، فبصق فى عينيه، ودفع الراية إليه، ففتح الله على يديه. ولما نزلت هذه الآية: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) دعا رسول الله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتى. [١٤٩]. [صفحة ١٠٨]

ابتغاء مرضاء الله تعالى

الإنسان الكامل هو الذى لا يفعل شيئاً ولا يتركه إلا لابتغاء مرضاء الله تبارك و تعالى، فيصل فى سلوكه ورياضاته الدينيّة إلى مكان تفنى فيه كالدوافع والحوافز إلا- داع واحد وهو طلب رضى الله تبارك و تعالى، فإذا بلغ هذه الدرجة فقد بلغ الذروة من الكمال الإنسانى، وربّما يبلغ الإنسان فى ظل الرضا درجة لا يتمنى وقوع مالم يقع، أو عدم ما وقع، وإلى ذلك المقام يشير الحكيم السبزوارى بما فى منظومته: وبهجة بما قضى الله رضا وذو الرضا بما قضى ما اعترضه اعظم باب الله، الرضا وعى [١٥٠] وخازن الجنة رضواناً دعى فقرا على الغنى صبوراً ارتضى وذا ن سَيان لصاحب الرضا عن عارف عَمَر سبعين سنه إن لم يقل رأساً لأشياء كائنه يا ليت لم تقع ولا- لما ارتفع ممّا هو المرغوب ليته وقع [١٥١]. [صفحة ١٠٩] وممّن يمثل ذلك المقام فى الأميّة الإسلامية هو إمام العارفين وسيد المتّقين على أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو فى عامّة مواقفه فى جهاده ونضاله، وعزلته وقعوده فى بيته، وفى تسنّمه على منصّة الخلافة بإصرار من الأميّة، فهو فى كلّ هذه الأحوال والمواقف، لا همّ له إلا طلب رضوانه تعالى. وقد صرح الإمام بذلك عندما طلب منه تسلّم مقاليد الخلافة، فقال: «أما والذى فلق الحَبّة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا- يقارّوا على كظّة ظالم، ولا سغب مظلوم، لآلقيت حبلاً على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها، ولآلفيتم دنياكم هذه

أزهد عندى من عطفة عزّ. [١٥٢]. وقد تجلت هذه الخصلة فى على (عليه السلام) حين ميّته فى فراش النبى (صلى الله عليه وآله وسلم). روى المحدثون أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما أراد الهجرة خلف على بن أبى طالب (عليه السلام) بمكة لقضاء ديونه و ردّ الودائع التى كانت عنده، وأمره ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشه فقال ص له: يا على اتّشح ببردى الحضرمى الأخضر، ثم نم على فراشى، فأنه لا يخلص إليك منهم مكروه، إن شاء الله عزّوجلّ، ففعل ذلك (عليه السلام) فأوحى الله عزّوجلّ إلى جبرئيل وميكائيل (عليهما السلام) إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يوثر صاحبه بالحياة، فاختر كلاهما الحياة، فأوحى الله عزّوجلّ إليهما: ألا كتتما مثل على بن أبى طالب، آخيت بينه وبين محمّد ص فنام على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه، فترلا فكان جبرئيل عند رأسه و ميكائيل عند رجله. [صفحة ١١٠] فقال جبرئيل: بخ بخ من مثلك يابن أبى طالب؟ يباهى الله بك الملائكة، فأنزل الله تعالى على رسوله ص و هو متوجّه إلى المدينة فى شأن على بن أبى طالب (عليه السلام): (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ). [١٥٣]. وقد نقل غير واحد نزول الآية فى حقّ على (عليه السلام). وقال ابن عباس: أنشدنى أمير المؤمنين شعراً قاله فى تلك الليلة: وقيت بنفسى من وطى الحصا وأكرم خلق طاف بالبيت والحجر وبثّ أراعى منهم ما يسوءنى وقد صّبرت نفسى على القتل والأسر وبات رسول الله فى الغار آمناً ومازال فى حفظ الاله وفى الستر [١٥٤]. وإلى هذه الفضيلة الراية وغيرها يشير حسان بن ثابت فى شعره عند مدح على (عليه السلام): من ذا بخاتمه تصدّق راکعا و أسرها فى نفسه إسرارا من كان بات على فراش محمّد ومحمد اسرى يوم الغارا من كان فى القرآن ستمى فى تسع آيات تلين غارا [١٥٥]. محاولة طمس الحقيقة لولا... إنّ عظمة هذه الفضيلة وأهمية هذا العمل التضحوى العظيم دفعت بكبار علماء الإسلام إلى اعتبارها واحدة من أكبر فضائل الإمام على (عليه السلام) [صفحة ١١١] وإلى أن يصتقوا بها علماً بالفداء والبدل والإيثار، وإلى أن يعتبروا نزول الآية المذكورة فى شأنه من المسلّمات، كلّما بلغ الحديث فى التفسير والتاريخ إليها. [١٥٦]. إنّ هذه الحقيقة ممّا لا ينسى أبداً، فأنه من الممكن إخفاء وجه الواقع والتعقيم عليه بعض الوقت إلاّ أنّه سرعان ما تمزّق أشعة الحقيقة الساطعة حجب الأوهام، وتخرج شمس الحقيقة من وراء الغيوم. إنّ معاداة معاوية لأهل بيت النبوة وبخاصة للإمام أمير المؤمنين على (عليه السلام) ممّا لا يمكن النقاش فيه. فقد أراد هذا الطاغية من خلال تطميع بعض صحابة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يلوّث صفحات التاريخ اللامعة ويخفى حقائقه بوضع الأكاذيب، ولكنّه لم يحرز فى هذا السبيل نجاحاً. فقد عمد «سمره بن جندب» الذى أدرك عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم انضمّ بعد وفاته ص إلى بلاط معاوية بالشام، عمد إلى تحريف الحقائق لغاية أموال أخذها من الجهاز الأموى، الحاقّد على أهل البيت. فقد طلب منه معاوية بإصرار أن يرقى المنبر ويكذب نزول هذه الآية فى شأن على (عليه السلام)، ويقول للناس أنّها نزلت فى حقّ قاتل على (أى عبد الرحمن بن ملجم المرادى)، ويأخذ فى مقابل هذه الأكذوبة الكبرى، وهذا الاختلاق الفضيع الذى أهلك به دينه، مائة ألف درهم. فلم يقبل «سمره» بهذا المقدار ولكن معاوية زاد له فى المبلغ حتى بلغ أربع مائة ألف درهم، فقبل الرجل بذلك، فقام بتحريف الحقائق الثابتة، مسوداً [صفحة ١١٢] بذلك صفحته السوداء أكثر من ذى قبل، وذلك عندما رقى المنبر وفعل ما طلب منه معاوية. [١٥٧]. وقبل السامعون البسطاء قوله، ولم يخطر ببال أحد منهم أبداً أنّ (عبد الرحمن بن ملجم) اليمنى لم يكن يوم نزول الآية فى الحجاز بل لعلّه لم يكن قد وُلِدَ بعد آنذاك. فكيف يصحّ؟! ولكن الحقيقة لا يمكن أن تخفى بمثل هذه الحجب الواهية، ولا يمكن أن تُنسى بمثل هذه المحاولات العنكبوتية الرخيصة. فقد زالت حكومة معاوية و زال معها أعوانها، واندثرت آثار الاختلاق والافتعال الذى وقع فى عهدها المشووم، و طلعت شمس الحقيقة من وراء حجب الجهل والافتراء مرة أخرى، واعترف أغلب المفسرين الأجلّة والمحدثين الأفاضل - فى العصور والأدوار المختلفة - بأنّ الآية المذكورة نزلت فى «ليلة المييت» فى بذر على (عليه السلام) ومفاداته النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه. [صفحة ١١٣]

إنه سبحانه تبارك وتعالى وصف الإيثار فى كتابه الكريم وهو من صفات الكرام حيث يقدمون الغير على أنفسهم، يقول سبحانه فى وصف الأنصار: (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَفِّ شَخْخَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). [١٥٨]. كما أنه سبحانه أمر بالوفاء بالنذر، قال سبحانه: (مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ) [١٥٩]، وقال سبحانه: (ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ). [١٦٠]. وفى الوقت نفسه ندب إلى الخوف من عذابه يقول سبحانه: (يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ...). [١٦١] وقال سبحانه: (وَالَّذِينَ يَصُلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُوَصَّلَ وَيَخْشُونَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ). [١٦٢]. [صفحة ١١٤] ما ذكرنا من الصفات الثلاث هى من أبرز الصفات التى يتحلّى بها أولياؤه سبحانه، ونجد هذه الصفات مجتمعة فى أهل البيت (عليهم السلام) فى سورة واحدة، يقول سبحانه: (يُؤْفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا - وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا - إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا - إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا غَنُوسًا قَمَطِيرًا). [١٦٣]. فقولته سبحانه: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ) إشارة إلى إيثارهم الغير على أنفسهم، والضمير فى (على حُبِّهِ) يرجع إلى الطعام أى أنهم مع حبهم للطعام قدّموا المسكين على أنفسهم، كما أن قوله: (يُؤْفُونَ بِالْأَنْذَرِ...) إشارة إلى صلابتهم فى طريق إقامة الفرائض. ثم قوله: (وَيَخَافُونَ يَوْمًا) إشارة إلى خوفهم من عذابه سبحانه يوم القيامة. وقد نقل أكثر المفسرين لو لم نقل كلهم، أن الآيات نزلت فى حق أهل البيت (عليهم السلام). روى عن ابن عباس (رض) أن الحسن والحسين (عليهما السلام) مرضا فعادهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى أناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن لوندرت على ولدك، فنذر على وفاطمة وفضة جارية لهما، إن شفاهما الله تعالى أن يصوموا ثلاثة أيام فشفا وما معهم شىء، فاستقرض على (عليه السلام) من شمعون الخيرى اليهودى ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً واختبرت خمسة أقراص [صفحة ١١٥] على عددهم ووضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل، فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فأثروه وباتوا ولم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صائمين. فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم ووقف عليهم يتيم فأثروه، وجاءهم أسير فى الثالثة، ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ على (عليه السلام) بيد الحسن والحسين (عليهما السلام) و دخلوا على الرسول ص فلما أبصرهم، وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، قال: ما أشد ما يسوءنى ما أرى بكم، وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة فى محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها فساء ذلك. فنزل جبرئيل (عليه السلام) وقال: خذها يا محمد هنأك الله فى أهل بيتك، فاقرأها السورة. [١٦٤]. روى السيوطى فى الدر المنثور، وقال: اخرج ابن مردويه عن ابن عباس فى قوله: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ) الآية، قال: نزلت هذه الآية فى على بن أبى طالب وفاطمة بنت رسول الله «(صلى الله عليه وآله وسلم)». [١٦٥]. ورواه الثعلبى فى تفسيره، وقال: نزلت فى على بن أبى طالب وفاطمة (عليهما السلام) وفى جاريتهما فضة، ثم ذكر القصة على النحو الذى سردناه لكن بصورة مبسطة. وقال: وذهب محمد بن على صاحب الغزالي على ما ذكره الثعلبى فى كتابه المعروف بـ «البلغة» أنهم (عليهم السلام) نزلت (عليهم السلام) مائدة من السماء فأكلوا منها سبعة أيام، وحديث المائدة ونزولها عليهم فى جواب ذلك [صفحة ١١٦] مذكور فى سائر الكتب. [١٦٦]. وقد سرد سبب نزول هذه الآية فى حق أهل البيت (عليهم السلام) غير واحد من أئمة الحديث. [١٦٧]. [صفحة ١١٧]

هم خير البرية

إن خير الناس فى منطق القرآن الكريم من آمن بالله ورسوله وعرف خالقه ومنعمه، وقد قال سبحانه: (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ الْمُتَّقُونَ). [١٦٨]. وهذه الصفات المذكورة فى الآية تجدها، متمثلة فى أهل البيت «عليهم

السلام» شهد على ذلك سيرتهم، ولذلك صاروا خير البرية. أخرج الطبرى فى تفسير قوله سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ). [١٦٩] بإسناده عن أبى الجارود، عن محمد بن على، قال: [صفحة ١١٨] قال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنت يا على وشيعتك». [١٧٠]. روى الخوارزمى عن جابر قال: كنا عند النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فأقبل على بن أبى طالب، فقال رسول الله: «قد أتاكم أخى» ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده، ثم قال: «والذى نفسى بيده إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة»، ثم قال: «إنه أولكم إيماناً معى، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم فى الرعية، وأقسمكم بالسوية، وأعظمكم عند الله منزلة»، قال: وفى ذلك الوقت نزلت فيه: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)، وكان أصحاب النبى ص إذا أقبل على، قالوا: قد جاء خير البرية. [١٧١]. وروى أيضاً من طريق الحافظ ابن مردويه، عن يزيد بن شراحيل الأنصارى، كاتب على (عليه السلام)، قال سمعت علياً، يقول: «حدثنى رسول الله وأنا مُشيد به إلى صدرى، فقال: «أى على!» ألم تسمع قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)؟ أنت وشيعتك، وموعدى وموعدهم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب تُدعون غزراً محجلين. [١٧٢]. وأرسل ابن الصباغ المالكي فى فصوله عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية، قال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلى (عليه السلام): «أنت وشيعتك تأتى يوم القيامة، أنت وهم راضين مرضيين، ويأتى أعداؤك غضاباً مقمحين». [١٧٣]. [صفحة ١١٩]

اهل البيت ورثة الكتاب

اختلفت الأمة الإسلامية بعد رحيل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى أمر الخلافة - وإن كان اللائق بها عدم الاختلاف فيها للنصوص الصحيحة الصادرة عنه فى مختلف الموارد - وقد استقصينا البحث فيها فى مبحث الإمامة من هذا الجزء. والذى نركر عليه فى هذا البحث هو تبين المرجع العلمى بعد رحيله - سواء أكانت الخلافة لمن نص عليه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى يوم الغدير أو من اختاره بعض الصحابة فى سقيفه بنى ساعدة - والمراد من المرجع العلمى من ترجع إليه الأمة فى أصول الدين وفروعه، ويصدر عنهم فى تفسير القرآن وتبيين غوامضه، ويستفهم منه أسئلة الحوادث المستجدة. يقول سبحانه: (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ - ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ [صفحة ١٢٠] الكبير). [١٧٤]. المراد من الكتاب فى قوله (أو حينا إليك الكتاب) هو القرآن بلا شك وكونه حقاً لأجل براهين قطعية تثبت أنه منزل من ربه فإن قوانيته تنسجم مع الفطرة الإنسانية والقصص الواردة فيها مصنونة من الأساطير، والمجموع خالٍ من التناقض إلى غير ذلك من القرائن الدالة على أنه حق. ومع ذلك هو مصدق لما بين يدي الرسول ص من الكتاب السماوى. هذا هو مفاد الآية الأولى. ثم إنه سبحانه يقول: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ) المراد من الكتاب هو القرآن: لأن اللام للعهد الذكى أى الكتاب المذكور فى الآية المتقدمة، والورثة عبارة عما يستحصله الإنسان بلا مشقة وجهد، والوارث لهذا الكتاب هم الذين أشير إليهم بقوله: (الذين اصطفينا من عبادنا)، فلو قلنا بأن «من» للتبيين فيكون الوارث هو الأمة الإسلامية جميعاً، ولو قلنا: إن «من» للتبعيض فيكون الوارث جماعة خاصة ورثوا الكتاب. والظاهر هو التبيين كما فى قولنا: (وَسَلَامٌ عَلَى الَّذِينَ اصْطَفَى). [١٧٥] . ولكن الأمة الإسلامية صاروا على أقسام ثلاثة: أ: ظالم لنفسه الذين قصرُوا فى وظيفتهم فى حفظ الكتاب والعمل [صفحة ١٢١] بأحكامه، وفى الحقيقة ظلموا أنفسهم، فلذلك صاروا ظالمين لأنفسهم. ب: مقتصد: الذين أدؤوا وظيفتهم فى الحفاظ والعمل لكن لا بنحو كامل بل قصرُوا شيئاً فيهما. ج: سابق بالخيرات بإذن الله: هم الجماعة المثلى أدؤوا وظائفهم بالحفظ والعمل على النحو الآتم، فلذلك سبقوا إلى الخيرات كما يقول سبحانه: (سَابِقُوا إِلَى الْخَيْرَاتِ إِذْنُ رَبِّهِمْ). وعلى هذا ورثة الكتاب فى الحقيقة هم الطائفة الثالثة أعنى الذين سبقوا بالخيرات. وأما ما هو المراد من الطائفة الثالثة فيتكفل الحديث لبيان ملامحها. روى الكلينى عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) فى تفسير الآية أنه قال: «السابق بالخيرات الإمام، والمقتصد العارف بالإمام، والظالم لنفسه الذى لا يعرف الإمام».

وروى نفس الحديث عن الإمام الرضا (عليه السلام). وهناك روايات أخرى تؤيد المضمون فمن أراد فليراجع. [١٧٦]. ثم إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أوضح ورثته الكتاب في حديثه المعروف الذى اتفق على نقله أصحاب الصحاح والمسانيد. أخرج مسلم فى صحيحه عن زيد بن أرقم رضى الله عنه، قال: قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً فينا خطيباً، بماء يدعى خمأً بين مكة والمدينة، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد: ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب، [صفحة ١٢٢] وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله استمسكوا به»، فحث على كتاب الله ورغب فيه؛ ثم قال: «وأهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى». [١٧٧]. هذا ما أخرجه مسلم، ومن الواضح أنه لم ينقل على وجه دقيق وذلك؛ لأن مقتضى قوله: أولهما، أن يقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثانيهما: أهل بيتى مع أنه لم يذكر كلمة «ثانيهما». وقد رواها الإمام أحمد بصورة أفضل ممّا سبق كما رواه النسائى فى فضائل الصحابة كذلك. أخرج أحمد فى مسنده عن أبى الطفيل، عن زيد بن الأرقم، قال: لما رجع رسول الله عن حجة الوداع ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقمن، ثم قال: «كأننى قد دعيت فأجبت: إئنى قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتى أهل بيتى، فانظروا كيف تخلفونى فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض». ثم قال: «إن الله مولاى، وأنا ولى كل مؤمن»، ثم أخذ بيد علىّ، فقال: «من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». [١٧٨]. هذه الإمامة سريعة بحديث الثقلين، ومن أراد أن يقف على أسانيده ومثونه فعليه أن يرجع إلى الكتب المؤلفة حوله، وأبسط كتاب فى هذا الموضوع ما ألفه السيد المجاهد مير حامد حسين حيث خص أجزاء من كتابه «العقبات» لبيان تفاصيل أسانيده ومضمونه وقد طبع ما يخص بالحديث فى ستّة أجزاء. كما بسط الكلام فى أسانيده وأسانيده غيره سيد مشايخنا البروجردى [صفحة ١٢٣] (١٢٩٢- ١٣٨٠هـ) فى كتابه «جامع أحاديث الشيعة»، فقال بعد استيفاء نصوص الحديث وأسانيده: وقد ظهر ممّا ذكرنا أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أوجب على الأئمة قاطبة التمسك بالعترة الطيبة فى الأمور الشرعية والتكاليف الإلهية، وأكد وجوبه وشده وأوثقه وكرّره بكلمات عديدة وألفاظ مختلفة بحيث لا يمكن إنكاره ولا يجوز تأويله، وقد اكتفينا بذلك وأن كثيراً من طرق الحديث قد ضمن مضافاً إلى المذكورات، ما يدل على حجّة أقوالهم ووجوب اتباعهم وحرمة مخالفتهم. [١٧٩]. والجدير بالمسلمين التركيز على مسألة تعيين المرجع العلمى بعد رحيل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ لا يسوغ فى منطق العقل أن يترك صاحب الرسالة، الأئمة المرحومة بلا راع، وهو يعلم أنه ص برحيله سوف يواجه المسلمون حوادث مستجدة ووقائع جديدة تتطلب أحكاماً غير مبيّنة فى الكتاب والسنة، فلا محيص من وجود مرجع علمى يحل مشاكلها ويذلّل أمامها الصعاب، وقد قام ص ببيان من يتصدّى لهذا المنصب بحديث الثقلين. ومن العجب أن كثيراً من المسلمين يطرقون كلباب الأبواب أئمة أهل البيت (عليهم السلام) مع أنه ص لم يذكر شيئاً ممّا يرجع إلى غير هؤلاء، فلا أدري ما هو وجه الإقبال على غيرهم والإعراض عنهم؟! قال السيد شرف الدين العاملى: والصحاح الحاكمة بوجوب التمسك بالثقلين متواترة، وطرقها عن بضع وعشرين صحابياً متضافرة. وقد صدع بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى مواقف له شتى. تارة يوم غدير خم كما سمعت، وتارة يوم عرفه فى حجة الوداع، وتارة [صفحة ١٢٤] بعد انصرافه من الطائف، ومرة على منبره فى المدينة، وأخرى فى حجرته المباركة فى مرضه، والحجرة غاصّة بأصحابه، إذ قال: «أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بى، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم ألا- إئنى مخلف فيكم كتاب الله عزوجلّ وعترتى أهل بيتى»، ثم أخذ بيد على فرفعها، فقال: «هذا على مع القرآن، والقرآن مع على، لا يفترقان حتى يردا علىّ الحوض». وقد اعترف بذلك جماعة من أعلام الجمهور، حتى قال ابن حجر: ثم اعلم أنّ لحديث التمسك بهما طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً. قال: ومّر له طرق مبسوطه فى حادى عشر الشبه، وفى بعض تلك الطرق أنه قال: ذلك بحجة الوداع بعرفة، وفى أخرى أنه قاله بالمدينة فى مرضه، وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفى أخرى أنه قال: ذلك بغدير خم، وفى أخرى أنه قال: ذلك لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف. قال: ولا تنافى إذ لا مانع من أنه كرّر عليهم ذلك فى تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة. وحسب أئمة أهل العترة الطاهرة أن يكونوا عند الله

ورسوله بمنزلة الكتاب، لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وكفى بذلك حجة تأخذ بالاعتاق إلى التعبد بمذهبهم، فإن المسلم لا يرتضى بكتاب الله بدلاً، فكيف يبتغى عن اعداله حولاً. [١٨٠]. [صفحة ١٢٥]

حرمة الصدقة عليهم

اتفق الفقهاء على أنه لا تحل الصدقة المفروضة على بنى هاشم الواردة فى الآية المباركة، أعنى: قوله سبحانه: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَتُصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صِيْلَاتَكَ سَيَكُنْ لَهُمْ). [١٨١] وذلك لأن التطهير والتركية إنما يتعلّق بما فيه وسخ وأهل البيت أعلى من أن يعيشوا بأوساخ الناس. قال ابن قدامة: «لا- نعلم خلافاً فى أن بنى هاشم لا تحلّ لهم الصدقة المفروضة». [١٨٢]. وقد تضافرت الروايات على ذلك وجمعها ابن حجر العسقلانى فى بلوغ المرام، نقتبس منها ما يلى: ١. عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن الصدقة لا تنبغى لآل محمد، إنما هى أوساخ الناس». [١٨٣]. وفى رواية: «وإنها لا تحلّ لمحمد ولا لآل محمد» رواه مسلم. [١٨٤]. [صفحة ١٢٦] ٢. روى أبو هريرة، قال: أخذ الحسن بن على (عليهما السلام) ثمرة من تمر الصدقة، فجعلها فى فيه، فقال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): «كخ، كخ» ليطحها، ثم قال: «أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة»، رواه الشيخان البخارى و مسلم. ولمسلم: أما علمت أنا لا تحل لنا الصدقة. [١٨٥]. ٣. عن أنس أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) مرّ بتمر فى الطريق، وقال: «لولا أن تكون من الصدقة لأكلتها». رواه مسلم وأبو داود. [١٨٦]. ٤. عن عائشة، قالت: أتى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بلحم، فقلت: هذا ما تصدّق به على بريرة، فقال: «هو لها صدقة، ولنا هدية». رواه البخارى ومسلم والنسائى وأبو داود. [١٨٧]. ٥. كان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أتى بطعام سأل عنه، فإن قيل: هدية أكل منها، وإن قيل: صدقة، لم يأكل منها. رواه الترمذى ومسلم. [١٨٨]. ٦. عن عبد الله بن حرث الهاشمى، وساق حديثاً حتى قال: إن هذه الصدقات إنما هى أوساخ الناس وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد. رواه مسلم والنسائى. [١٨٩]. ٧. عن أبى رافع أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث رجلاً على الصدقة من بنى مخزوم، فقال لآبى رافع: اصحبني فإنك تصيب منها، قال: حتى أتى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فأسأله، فأتاه فسأله، فقال: مولى القوم من أنفسهم وإننا لا تحللنا الصدقة. أخرجه أبو داود والترمذى وصححه. [١٩٠]. [صفحة ١٢٧]

حقوق اهل البيت فى القرآن الكريم

إشارة

قد عرفت من هم أهل البيت (عليهم السلام) فى الآيات والروايات الواردة على لسان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما جادت به القرائح العربية حولهم من قصائد وأراجيز كما عرفت سماتهم و خصوصياتهم. و حان البحث لبيان حقوقهم على المسلمين التى نزل بها الوحى فى الكتاب العزيز، وها نحن نذكر بعض حقوقهم: [صفحة ١٢٩]

ولاية اهل البيت

قد دلّت الروايات المتضافرة على أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ارتحل وقد نصب عليّاً (عليه السلام) للولاية والخلافة، فأبان ولايته وولاية من بعده من الأئمة فى مواقف مختلفة، نذكر منها موقفين: الأول: أن سائلاً أتى مسجد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى (عليه السلام) راکع، فأشار بيده للسائل، أى اخلع الخاتم من يدي، فنزل قوله سبحانه: (إِنَّمَا وَدَّعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ). [١٩١]. وقد تضافرت الروايات على نزول الآية فى حقّ على (عليه السلام) ونقلها الحفاظ، منهم: ابن جرير الطبرى [١٩٢] والحافظ أبو بكر الجصاص الرازى [١٩٣] والحاكم النيسابورى [١٩٤] والحافظ أبو الحسن

الواحدى النيسابورى [١٩٥] وجار الله الزمخشري [١٩٦] إلى غير ذلك من أئمة الحفاظ و كبار المفسرين ربما ناهز [صفحة ١٣٠] عددهم السبعين. وهم بين محدث ومفسر ومورخ. والذي يجب التركيز عليه هو فهم معنى الولي الوارد فى الآية المباركة والذي وقع وصفاً لله سبحانه ورسوله ومن جاء بعده. المراد من الولي فى الآية هو الأولوية الواردة فى قوله سبحانه: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم). [١٩٧]. فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أولى من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم فهو بما أنه زعيم المسلمين ووليهم، يتصرف فيهم حسب ما تقتضيه المصالح فى طريق حفظ كيان الإسلام وصيانته هويتهم والدفاع عن أراضيهم ولغاية نشر الإسلام. وليست الغاية من هذه الولاية الموهوبة للنبي ص هي حفظ مصالح النبي ص الشخصية، بل الغاية كما عرفت هو صيانة مصالح الإسلام والمسلمين. فالولاية بهذه المعنى هي المراد من قوله سبحانه: (إنما وليكم الله ورسوله) و القرائن الدالة على تعين هذا المعنى كثيرة، نذكر منها ما يلي: الأول: إذا كان المراد من الولي هو الزعامة يصح تخصيصها بالله سبحانه ورسوله ومن أعقبه، وأما لو كان المراد منه هو الناصر و المحب، فهو ليس مختصاً بهؤلاء، لأن كل مؤمن محب للآخرين أو ناصر لهم كما يقول سبحانه: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض). [١٩٨]. الثانى: أن ظاهر الآية أن هناك أولياء و هناك مولى عليهم، ولا يتحقق التمايز إلا بتفسير الولاية بمعنى الزعامة حتى يتميز الزعيم عن غيره، وهذا بخلاف ما فسرناه بمعنى الحب والود أو النصر، فتكون الطوائف الثلاث على حد سواء [صفحة ١٣١] الثالث: إذا كان المراد من الولي هو الزعيم، يصح تخصيصه بالمؤمن المؤدى للزكاة حال الصلاة، و أما لو كان المراد بمعنى المحب والناصر وما أشبهها يكون القيد زائداً أعنى: إعطاء الزكاة فى حال الصلاة، فإن شرط الحب هو إقامة الصلاة وأداء الزكاة، وأما تأديتها فى حال الركوع فليس من شرائط الحب والنصرة، وهذا دليل على أن المراد فرد أو جماعة خاصة يوصفون بهذا الوصف لا كل المؤمنين. الرابع: أن الآية التالية تفسر معنى الولاية، يقول سبحانه: (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون). [١٩٩]. فإن لفظة (الذين آمنوا) فى هذه الآية هو الوارد فى الآية المتقدمة، أعنى: (والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة)، وعلى هذا يكون المراد من القول أخذهم زعيماً وولياً بشهادة أن حزب الله لا ينفك من زعيم يدبر أمرهم. إلى هنا تبين أن الإمعان فى القرائن الحافّة بالآية تفسر معنى الولي وتعين المعنى و تثبت أن المقصود هو الزعيم، لكن من نكات البلاغة فى الآية أنه سبحانه صرح بولايته و ولاية رسوله ومن جاء بعده و على ذلك صارت الولاية للثلاثة، وكان اللازم عندئذ أن يقول إنما أولياؤكم بصيغة الجمع لكنه أتى بصيغة المفرد إشارة إلى نكته، وهى أن الولاية بالأصالة لله سبحانه وأما ولاية غيره فيأيهاب من الله سبحانه لهم، ولذلك فرد الكلمة ولم يجمعها، لكن هذه الولاية لا تنفك من آثار، وقد أشير إلى تلك الآثار فى آيات مختلفة، وإليك بيانها: ١. (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم). [٢٠٠] فإن لزوم إطاعة الله والرسول وغيرهما من آثار ولايتهم [صفحة ١٣٢] وزعامتهم، فالزعيم يجب أن يكون مطاعاً. ٢. (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم). [٢٠١]. فينفذ قضاؤه سبحانه و الذى هو من آثار الزعامة، ونظيره قوله سبحانه: (إنا أنزلنا إليك الكتاب لتحكم بين الناس بما أراك الله). [٢٠٢]. ٣. (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم). [٢٠٣] فحرمة مخالفة أمر الله ورسوله من توابع زعامتهم وولايتهم. فهذه الحقوق ثابتة للنبي ص بنص القرآن الكريم ولمن بعده بحكم أنهم أولياء بعد النبي فإن ثبوتها للنبي ص لأجل ولايته فإذا كانت الولاية مستمرة بعده فيتمتع كلولى بهذه الحقوق. وبهذا تبين دلالة الآية على ولاية على (عليه السلام) وأنها حق من حقوقهم لصالح الإسلام والمسلمين. نعم بعض من لا تروقه ولاية أهل البيت (عليهم السلام) وزعامتهم حاولوا تضعيف دلالة الآية بشبهات واهية واضحة الرد، وقد أجبنا عنها فى بعض مسفوراتنا فلنكتف فى المقام بهذا المقدار. غير أننا نركز على نكته وهى أن الصحابة الحضور لم يفهموا من الآية سوى الولاية ولذلك صب شاعر عهد الرسالة حسان بن ثابت ما فهمه من الآية بصفاء ذهنه فى قالب الشعر، وقال: [صفحة ١٣٣] فأنت الذى أعطيت إذ أنت راع فدتك نفوس القوم يا خير راع بخاتمك الميمون يا خير سيد و يا خير شار ثم يا خير بايع فانزل فيك الله خير ولاية و بينها فى محكمات الشرائع [٢٠٤]. والظاهر ممّا رواه المحدثون أن الأمة الإسلامية سيُسالون يوم القيامة عن ولاية على (عليه السلام)، حيث ورد السؤال فى تفسير قوله سبحانه: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ). [٢٠٥]. روى

ابن شيرويه الديلمى فى كتاب «الفردوس» فى قافية الواو، باسناده عن أبى سعيد الخدرى، عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): (وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْوُولُونَ) عن ولاية على بن أبى طالب. [٢٠٦]. ونقله ابن حجر عن الديلمى، وقال: (وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْوُولُونَ) أى عن ولاية على وأهل البيت، لَأنَّ الله أمر نبيه ص أن يعرف الخلق أنَّه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجراً إلا المودة فى القربى، والمعنى أنَّهم يسألون هل والوهم حق الموالاة كما أوصاهم النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أم أضاعوها وأهملوها فتكون عليهم المطالبة والتبعة. [٢٠٧]. الثانى [٢٠٨]: من تلك المواقف هو يوم الغدير وهو أوضحها وآكدها وأعمها وقد صدع بها فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة الحرام فى منصرفه من حجة الوداع، وقد قام فى محتشد كبير بعد ما خطب خطبة مفصلة وأخذ من الناس الشهادة على التوحيد والمعاد ورسالته وأعلن أنَّه فرط على الحوض، ثم ذكر الثقلين وعرفهما، بقوله: «الثقل الأكبر، كتاب الله، والآخر الأصغر: عترتى؛ وإنَّ اللطيف الخبير نَبَأَنِي أَنَّهُمَا لَن يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»، ثمقال: «أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إنَّ الله مولاى، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولا [صفحة ١٣٤] فعلى مولا»، ثم قال: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا- فليبلغ الشاهد الغائب». ففى هذه الواقعة الفريدة من نوعها أعلن النبى ولاية على (عليه السلام) للحاضرين وأمرهم بإبلاغها للغائبين، ونزل أمين الوحي بآية الإكمال، أعنى: قوله سبحانه: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي). [٢٠٩]. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرب برسالتي، والولاية لعلى من بعدى». ثم طفق القوم يهتفون أمير المؤمنين (عليه السلام) و ممَّن هُنا فى مقدم الصحابة: الشيخان أبو بكر وعمر، كل يقول: بخ بخ لك يا بن أبى طالب أصبحت وأمست مولاى ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة. وقد تلقى الصحابة الحضور ان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أوجب ولايته على المؤمنين، وقد أفرغ شاعر عهد الرسالة حسان بن ثابت ما تلقاه عن الرسول، فى قصيدته وقال: فقال له قم يا على فأننى رضيتك من بعدى إماماً وهادياً فمن كنت مولا فهذا وليه فكونوا له أنصار صدق موالياً قد ذكرنا مصادر الخطبة والآيات عند البحث عن الإمامة فراجع. [٢١٠]. [صفحة ١٣٥]

اهل البيت و ضرورة اطاعتهم

أمر سبحانه باطاعة الرسول و أولى الأمر، وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا). [٢١١]. تأمر الآية بإطاعة الله كما تأمر بإطاعة الرسول و أولى الأمر لكن بتكرار الفعل، أعنى: (وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) وما هذا إلا- لأنَّ نسخ الإطاعتين مختلف، فإطاعته سبحانه واجبة بالذات، و إطاعة النبى و أولى الأمر واجبة بإيجابه سبحانه. والمهم فى الآية هو التعرف على المراد من أولى الأمر، فقد اختلف فيه المفسرون على أقوال ثلاثة: ١. الأمراء، ٢. العلماء، ٣. صنف خاص من الأمة، وهم أئمة أهل البيت (عليهم السلام). [صفحة ١٣٦] وبما أنَّه سبحانه أمر بإطاعة أولى الأمر إطاعة مطلقة، غير مقيدة بما إذا لم يأمروا بالمعصية يمكن استظهار أنَّ أولى الأمر المشار إليهم فى الآية والذين وجبت طاعتهم على الإطلاق، معصومون من المعصية والزلل، كالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى اقترنوا فى لزوم الطاعة فى الآية. وبعبارة أخرى: أنَّه سبحانه أوجب طاعتهم على الإطلاق، كما أوجب طاعته، وطاعة رسوله، ولا يجوز أن توجب طاعة أحد على الإطلاق إلا- من ثبتت عصمته، وعلم أنَّ باطنه كظاهره، وأمن منه الغلط والأمر بالقبيح، وليس ذلك بحاصل فى الأمراء، ولا العلماء سواهم، جلَّ الله عن أن يأمر بطاعة من يعصيه، أو بالانقياد للمختلفين فى القول والفعل، لأنَّه محال أن يطاع المختلفون، كما أنَّه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه. [٢١٢]. وقد أوضحه الرازى فى تفسيره، وذهب إلى أنَّ المقصود من أولى الأمر هم المعصومون فى الأئمة، وإن لم يخض فى التفاصيل، ولم يستعرض مصاديقهم، لكنَّه بيَّن المراد منهم بصورة واضحة، وقال: والدليل على ذلك انَّ الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم فى هذه الآية، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع، لا بدَّ وأن يكون معصوماً عن

الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأً منهى عنه، فهذا يُفضى إلى اجتماع الأمر والنهى فى الفعل الواحد بالاعتبار الواحد وأنه محال. [صفحة ١٣٧] فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم، وثبت أنكلمن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم، وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أن أولى الأمر المذكور فى هذه الآية لابد وأن يكون معصوماً. [٢١٣]. وقد أوضح السيد الطباطبائي دلالة الآية على عصمة أولى الأمر ببيان رائق وإليك نصه، قال: الآية تدل على افتراض طاعة أولى الأمر هؤلاء، ولم تقيد بقيد ولا شرط، وليس فى الآيات القرآنية ما يقيد الآية فى مدلولها حتى يعود معنى قوله: (وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) إلى مثل قولنا: وأطيعوا أولى الأمر منكم فيما لم يأمروا بمعصية أو لم تعلموا بخطئهم، فإن أمروكم بمعصية فلا طاعة عليكم، وإن علمتم خطأهم فقوموهم بالرد إلى الكتاب والسنة وليس هذا معنى قوله: (وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ). مع أن الله سبحانه أبان ما هو أوضح من هذا القيد فيما هو دون هذه الطاعة المفترضة، كقوله فى الوالدين: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا). [٢١٤] فما باله لم يُظهر شيئاً من هذه القيود فى آية تشتمل على أسس الدين، وإليها تنتهى عامه اعراق السعادة الإنسانية. على أن الآية جمع فيها بين الرسول وأولى الأمر، وذكر لهما معاً طاعة واحدة، فقال: (وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)، ولا يجوز على الرسول أن [صفحة ١٣٨] يأمر بمعصية أو يغلط فى حكم، فلو جاز شىء من ذلك على أولى الأمر، لم يسع إلا أن يذكر القيد الوارد عليهم فلا مناص من أخذ الآية مطلقاً من غير أن تقيد، ولازمه اعتبار العصمة فى جانب أولى الأمر، كما اعتبر فى جانب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من غير فرق. [٢١٥]. وبذلك تبين أن تفسير أولى الأمر بالخلفاء الراشدين أو أمراء السرايا أو العلماء أمر غير صحيح، لأن الآية دلّت على عصمتهم ولا عصمة لهؤلاء، فلا بد فى التعرف عليهم من الرجوع إلى السنة التى ذكرت سماتهم ولا سيما حديث الثقلين حيث قورنت فيه العترة بالكتاب، فإذا كان الكتاب مصوناً من الخطأ، فالعترة مثله أخذاً بالمقارنة. ونظيره حديث السفينة: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق». [٢١٦]. إلى غير ذلك من الأحاديث التى تنص على عصمة العترة الطاهرة، فإذا هذه الأحاديث تشكّل قرينة منفصلة على أن المراد من أولى الأمر هم العترة أحد الثقلين. بل يمكن كشف الحقيقة من خلال الامعان فى آية التطهير، وقد عرفت دلالتها على عصمة أهل البيت الذين عيّنهم الرسول بطرق مختلفة. وعلى ضوء ذلك فآية التطهير، وحديث الثقلين، وحديث السفينة إلى غيرها من الأحاديث الواردة فى فضائل العترة الطاهرة كلّها تدل على عصمتهم. هذا من جانب و من جانب آخر دلّت آية الإطاعة على عصمة أولى الأمر، [صفحة ١٣٩] فبضم القرائن الآنفه الذكر إلى هذه الآية يتضح المراد من أولى الأمر الذين أمر الله سبحانه بطاعتهم و قرن طاعتهم بطاعة الرسول. وأمّا الرواية عن النبى: فقد روى ابن شهر آشوب عن تفسير مجاهد أنهذه الآية نزلت فى أمير المؤمنين (عليه السلام) حين خلفه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى المدينة، فقال: «يا رسول الله، أتخلفنى بين النساء والصبيان؟» فقال ص: «يا على، أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبى بعدى، حين قال له: (اخلفنى فى قومي وأصلح)، فقال أبلى والله: (وأولى الأمر منكم)». [٢١٧]. وأمّا ما روى عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) حول الآية فحدث عنها ولا حرج، فلنقتصر فى المقام على رواية واحدة نقلها الصدوق باسناده عن جابر بن عبد الله الأنصارى. قال: لما أنزل الله عز وجل على نبيه محمد ص: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) قلت: يا رسول الله، عرفنا الله ورسوله، فمن أولوا الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال ص: «هم خلفائى يا جابر وأئمة المسلمين من بعدى، أولهم على بن أبى طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم على بن الحسين، ثم محمد بن على المعروف فى التوراة بالباقر ستدركه ياجابر، فإذا لقيته فاقرأه منى السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم على بن موسى، ثم محمد بن على، ثم على بن محمد، ثم [صفحة ١٤٠] الحسن بن على، ثم سيمى محمّد و كنىته، حجة الله فى أرضه وبقيته فى عباده ابن الحسن بن على، ذاكَ الذى يفتح الله تعالى على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاكَ الذى يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيه على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان». قال جابر: فقلت له: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به فى غيبته؟ فقال ص:

«اي والذي بعثنى بالنبوة إنهم يستضيئون بنوره، وينتفعون بولايتهم فى غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلاها سحاب. يا جابر هذا من مكنون سر الله ومخزون علم الله، فاكتمه إلا عن أهله». [٢١٨]. [صفحة ١٤١]

وجوب مودتهم و حبهم

قام الرسل بابلاغ رسالات الله سبحانه إلى الناس، دون أن يبغوا أجراً منهم، بل كان عملهم خالصاً لوجهه سبحانه، لأنّ إبلاغ رسالاته كانت فريضة إلهية على عواقتهم، فكيف يطلبون الأجر للعمل العبادى الذى لا يعثهم إليه إلا طاعة أمره وطلب رضاه، ولذلك كان شعارهم دوماً، قولهم (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). [٢١٩]. فقد ذكر سبحانه على لسان الأنبياء تلك الآية فى سورة الشعراء، ونقلها عن عديد من أنبيائه، نظراء: نوح [٢٢٠]. هود [٢٢١]. صالح [٢٢٢]. لوط [٢٢٣]. شعيب [٢٢٤]. وقد جاء هذا الشعار فى سور أخرى نقلها القرآن الكريم عن رسله وأنبيائه، فقد كانوا يخاطبون أممهم بقولهم: [صفحة ١٤٢] (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ). [٢٢٥]. (يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الَّذِى فَطَرَنِي). [٢٢٦]. فإذا كان هذا موقف الأنبياء من أممهم، فكيف يصح للنبي الخاتم ص أن يطلب الأجر؟! بل هو أولى بأن يكون عمله خالصاً لله، لأنّه خاتم الرسل وأفضلهم، وقد كان يرفع ذلك الشعار أيام بعثته، بأمر منه سبحانه و يتلو قوله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) [٢٢٧]. هذه هى حقيقة قرآنية لا يمكن إنكارها، ومع ذلك نرى أنّه سبحانه يأمره فى آية أخرى بأن يطلب منهم مودة القربى أجراً للرسالة. ويقول: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى). [٢٢٨]. فكيف يمكن الجمع بين هذه الآية، وما تقدم من الآية الخاصة بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والآيات الراجعة إلى سائر الأنبياء، فإنهم (عليهم السلام) كانوا على نهج واحد؟. هذا هو السؤال المطروح فى المقام. والإجابة عليه يتوقف على نقل ما ورد حول الموضوع فى القرآن الكريم، فنقول: الآيات التى وردت حول أجر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على أصناف أربعة: الأول: أمره سبحانه بأن يخاطبهم بأنّه لا يطلب منهم أجراً، قال سبحانه: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ). [٢٢٩]. [صفحة ١٤٣] الثانى: ما يشعر بأنّه طلب منهم أجراً يرجع نفعه إليهم دون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقول سبحانه: (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ). [٢٣٠]. الثالث: ما يُعرف أجره، بقوله: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا). [٢٣١] فكان اتخاذ السبيل إلى الله هو أجر الرسالة. الرابع: ما يجعل مودة القربى أجراً للرسالة، ويقول: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى). فهذه العناوين الأربعة لابد أن ترجع إلى معنى واحد، وهذا هو الذى نحاول أن نسلط عليه الأضواء. الجواب: أنّ لفظة الأجر يطلق على الأجر الدنيوى والأخروى غير أنّ المنفى فى تلك الآيات بقريته نفى طلبه عن الناس هو الأجر الدنيوى على الإطلاق، ولذلك لم ينقل التاريخ أبداً أن يطلب نبي ص لدعوته شيئاً بل نقل خلافه. هذه هى قرينة تقدمت إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفى طليعتهم أبو الوليد، فتقدم إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: يابن أخى إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر، مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذى يأتىك رثياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى تُبرئك منه، فإنّه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، أو [صفحة ١٤٤] كما قال له حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يستمع منه، قال: أقدر فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع منى قال: أفعل، فقال: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - حم - تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ - بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ - وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ). [٢٣٢]. ثم مضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيها يقرؤها عليه. فلما سمعها منه عتبة، أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه، ثم انتهت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك. [٢٣٣]. هذا النص وغيره يعرب عن أنّ مدار الإثبات والنفى هو الأجر الدنيوى بعامه صورته، وهذا أمر منفى جداً لا يليق لنبي أن يطلبه من الناس.

قال الشيخ المفيد: إنَّ أجر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى التقرب إلى الله تعالى هو الثواب الدائم، وهو مستحق على الله تعالى فى عدله وجوده وكرمه، وليس المستحق على الأعمال يتعلّق بالعباد، لأنَّ العمل يجب أن يكون لله تعالى خالصاً، وما كان لله فالأجر فيه على الله تعالى دون غيره. [٢٣٤]. إذا عرفت ذلك، فنقول: إنَّ مودة ذى القربى وإن تجلت بصورة الأجر حيث استثنت من نفى الأجر، لكنّه أجر صورى وليس أجراً واقعياً، فالأجر الواقعى عبارة عمّا إذا عاد نفعه إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكنّه فى المقام يرجع إلى المحب قبل رجوعه إلى النبى ص، وذلك لأنَّ مودة ذى القربى تجرّ المحب إلى أن ينهج سبيلهم فى الحياة، [صفحة ١٤٥] ويجعلهم أسوء فى دينه ودنياء، ومن الواضح أنّ الحب بهذا المعنى ينتهى لصالح المحب. قال الصادق (عليه السلام): «ما أحب الله عزّ وجلّ من عصاه» ثمّ تمثّل، فقال: تعصى الإله وأنت تظهر حبه هذا محال فى الفعال بديع لو كان حبك صادقاً لأطعته إنّ المحب لمن يحب مطيع [٢٣٥]. وسياوفايك أنّ المراد من ذوى القربى ليس كلّ من ينتمى إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بنسب أو سبب، بل طبقه خاصه من أهل بيته الذين عرفهم بأنهم أحد الثقلين فى قوله: «إنّى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتى أهل بيتى، وأنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض». [٢٣٦]. فإذا كان المراد من ذوى القربى هؤلاء الذين أنيط بهم أمر الهداية والسعادة فحبهم ومودّتهم يرفع الإنسان من حضيض العصيان والتمرد إلى عزّ الطاعة. إنّ طلب المودة من الناس أشبه بقول طبيب لمريضه بعد ما فحصه وكتب وصفه: لا أريد منك أجراً إلّا العمل بهذه الوصفه، فإنّ عمل المريض بوصفه الطبيب وإن خرجت بهذه العبارة بصورة الأجر، ولكنّه ليس أجراً واقعياً يعود نفعه إلى الطبيب بل يعود نفعه إلى نفس المريض الذى طلب منه الأجر. وعلى ذلك فلا بدّ من حمل الاستثناء على الاستثناء المنقطع، كأن يقول: قل لا أسألكم عليه أجراً، وإنّما أسألكم مودة ذى القربى، وليس الاستثناء المنقطع [صفحة ١٤٦] أمراً غريباً فى القرآن بل له نظائر مثل قوله: (لا يسمعون فيها لغواً إلّا سلاماً). [٢٣٧]. وعلى ذلك جرى شيخ الشيعة المفيد فى تفسير الآية، حيث طرح السؤال، و قال: فإن قال قائل: فما معنى قوله: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة فى القربى) أو ليس هذا يفيد أنّه قد سألكم مودة القربى لأجره على الأداء؟ قيل له: ليس الأمر على ما ظننت لما قدمنا من حجّة العقل والقرآن، والاستثناء فى هذا المكان ليس هو من الجملة لكنّه استثناء منقطع، ومعناه قل لا أسألكم عليه أجراً لكنّى أزمكم المودة فى القربى وأسألكموها، فيكون قوله: (قل لا أسألكم عليه أجراً) كلاماً تاماً، قد استوفى معناه، ويكون قوله: (إلّا المودة فى القربى) كلاماً مبتدأ، فائدته لكن المودة فى القربى سألتكموها، وهذا كقوله: (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ). [٢٣٨] والمعنى فيه لكن إبليس، وليس باستثناء من جملة. [٢٣٩]. وعلى ضوء ذلك يظهر معنى قوله سبحانه: (ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ). [٢٤٠]. وقد تبين أنّ حبّ الأولياء والصالحين لصالح المحب قبل أن يكون لصالحهم. كما تبين معنى قوله سبحانه فى شأن ذلك الأجر: (ما سَأَلْتُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا). [٢٤١]. [صفحة ١٤٧] فإنّ اتخاذ السبيل لا يخلو من أحد احتمالين: ١. مودة القربى والتفانى فى حبهم الذى سينتهى إلى العمل بالشريعه الموجب لنيل السعادة. ٢. نفس العمل بالشريعه الذى يصل إليها الإنسان عن طريق حبهم ومودّتهم. وبذلك ترجع الآيات الثلاث إلى معنى واحد من دون أن يكون بينهما أى تناف واختلاف. وقد جاء الجمع بين مفاد الآيات الثلاث فى دعاء الندبة الذى يشهد علو مضامينه على صدقه، حيث جاء فيه: «ثم جعلت أجر محمّد ص مودّتهم فى كتابك، فقلت (لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة فى القربى)، وقلت: ما سألتكم من أجر فهو لكم، وقلت: (ما أسألكم عليه من أجر إلّا من شاء أن يتخذ إلى ربّه سبيلاً)، فكانوا هم السبيل إليك، والمسلك إلى رضوانك». وإلى ذلك يشير شاعر أهل البيت و يقول: مولاتهم فرض وحبهم هدى وطاعتهم ودّ وودّهم تقوا وأمّا القربى فهو على وزن البشرى والزلفى بمعنى القرابة، يقول الزمخشري: القربى مصدر كالزلفى والبشرى، بمعنى القرابة والمراد فى الآية «أهل القربى». [٢٤٢]. وقد استعمل القرآن الكريم لفظة القربى فى عامه الموارد بالمضاف، فتارة [صفحة ١٤٨] بلفظة ذى، قال سبحانه: (وبالوالدين أحساناً وذى القربى واليتامى). [٢٤٣]. وأخرى بلفظة ذوى، قال سبحانه: (وَأَتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى). [٢٤٤]. وثالثة: بلفظة «أولى»، قال سبحانه: (ما كان للنبيّ والذين آمنوا أن يمتنعوا) [٢٤٥]. وقد جاءت مرة واحدة دون إضافة وهى نفس الآية المباركة، فلاجل ذلك يلزم تقدير شيء

مثل لفظة «أهل» كما قدّره الزمخشري أو لفظاً غير ذلك مثل كلمة «ذى» أو «ذوى» أو «ذوى قبرى». إلى هنا تمت الإجابة عن السؤال الأول حول الآية. السؤال الثانى [٢٤٦]. دلّت الآية الكريمة على أنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فرض مودة ذى القربى، على المسلمين ولكن يبقى هناك سؤال وهو أنّ الآية تحتل وجهين: أ: أن يكون المراد مودة ذى القربى من أقرباء النبى وأهل بيته. ب: أن يكون المراد ودّ كلّ مسلم أقربائه وعشيرته ومن يمت إليه بصله، وليس فى الآية ما يدل على المعنى الأول. أقول: إنّ ذى القربى كما علمت بمعنى صاحب القرابة والشيجة النسبية، ويتّعين مورده بتعيين المنسوب إليه، وهو يختلف حسب اختلاف موارد [صفحة ١٤٩] الاستعمال، ويستعان فى تعيينه بالقرائن الموجودة فى الكلام، وهى: الأشخاص المذكورون فى الآية أو ما دلّ عليه سياق الكلام. فتارة يراد منه الأقرباء دون شخص خاص، مثل قوله سبحانه: (ما كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي قُرْبَى). [٢٤٧]. وقوله سبحانه: (فَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى). [٢٤٨]. فإنّ ذكر النبى والذين آمنوا معه آية على أنّ المراد قريب كلّ إنسان إليهما، كما أنّ جملة (فإذا قلتم فاعدلوا) آية أنّ المراد كلّ إنسان قريب إليه. وأمّا قوله سبحانه: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) فالفعل المتقدّم عليه يعنى (لا أسألكم) آية أنّ المراد أقرباء السائل، مثل قوله سبحانه: (ما أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَى). [٢٤٩]. فإنّ لفظة (على رسولِهِ) آية أنّ المراد أقرباء الرسول. وعلى ذلك فلا بدّ من الرجوع إلى القرائن الحافّة بالآية وتعيين المراد منه، وبذلك ظهر أنّ المراد هو أقرباء الرسول. يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ناقداً انتخاب الخليفة الأول فى السقيفة لأجل انتمائه إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقرابة: وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبى وأقرب [٢٥٠]. [صفحة ١٥٠] السؤال الثالث إنّ سورة الشورى سورة مكية، فلو كان المراد من ذوى القربى هو عترته الطاهرة، أعنى: علياً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) فلم يكن يومذاك بعض هؤلاء كالحسن والحسين (عليهما السلام)؟. والجواب: إنّ الميزان فى تمييز المكي عن المدني، أمران، وكلاهما يدلان على أنّ الآية نزلت فى المدينة المنورة. الأمر الأول: دراسة مضمون الآيات فقد كانت مكافحة الوثنية والدعوة إلى التوحيد والمعاد هى مهمة النبى قبل الهجرة، ولم يكن المجتمع المكي مؤهلاً لبيان الأحكام والفروع أو مجادلته أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ولذلك تدور أغلب الآيات المكية حول المعارف والعقائد والعبرة بقصص الماضين، وما يقرب من ذلك. ولما استتب له الأمر فى المدينة المنورة واعتنق أغلب سكّانها الإسلام حينها سنحت الفرصة لنشر الإسلام وتعاليمه وللمناظرة اليهود والنصارى حيث كانوا يثيرون شبهاً ويجادلون النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فنزلت آيات حول اليهود والنصارى فى السور الطوال. فلو كان هذا هو الميزان بغية تمييز المكي عن المدني، فالآية مدنية قطعاً دون ريب لعدم وجود أيّة مناسبة لسؤال الأجر أو طلب مودة القربى من أناس لم يؤمنوا به بل حشدوا قواهم على قتله، بخلاف البيئة الثانية فقد كانت تقتضى ذلك حيث التفّ حوله رجال من الأوس والخزرج وطوائف كثيرة من الجزيرة العربية. [صفحة ١٥١] الأمر الثانى: الاعتماد على الروايات والمنقولات فلو كان هذا هو الميزان فقد صرح كثير منهم بأن أربعة آيات من سورة الشورى مكية، حتى أنّ المصاحف المطبوعة فى الأزهر وغيره، تصرّح بذلك وتقرأ فوق السورة هذه الجملة: سورة الشورى مكية الآيات إلا ثلاث وعشرين وأربع وعشرين وسبع وعشرين. أضف إلى ذلك أنّ كثيراً من المفسرين والمحدثين صرحوا بذلك. [٢٥١]. وهذا هو البقاعى مؤلف «نظم الدرر وتناسب الآيات والسور» يصرّح بأن الآيات مكية، كما نقله المحقّق الزنجانى فى «تاريخ القرآن». [٢٥٢]. السؤال الرابع الإنسان مفطور على حب الجميل وكراهة القبيح فيكون الودّ أمراً خارجاً عن الاختيار، فكيف يقع فى دائرة السؤال ويطلبه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) من المؤمنين مع أنّه كذلك. والجواب: أولاً: أنّ الحبّ لو كان أمراً خارجاً عن الاختيار فلا يتعلّق به الأمر، كما لا يتعلّق به النهى، مع أنّه سبحانه ينهى عن ودّ من حادّ الله ورسوله، ويقول: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله). [٢٥٣]. [صفحة ١٥٢] كما أنّه ص يدعو إلى التراحم والتعاطف النابعين عن الود والحب، ويقول: مثل المؤمنين فى توادّهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه شىء تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». [٢٥٤]. كلّ ذلك يدل على أنّ الودّ والبغض ليس على النسق الذى وصفه السائل، ولذلك نرى الدعوة الكثيرة إلى الحب فى الله والبغض فى الله. قال الإمام الصادق (عليه

(السلام): «من أوثق عرى الإيمان أن تحب فى الله وتبغض فى الله». [٢٥٥]. وقد كتب الإمام على (عليه السلام) إلى عامله فى مصر مالك الأشتر رسالة قال فيها: «واشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم». [٢٥٦]. روى الخطيب فى تاريخه عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): «عنوان صحيفة المؤمن حب على بن أبى طالب (عليه السلام)». [٢٥٧]. وقال ص: «من سره أن يحيا حياتى، ويموت مماتى، ويسكن جنه عدن غرسها ربى، فليوال علياً بعدى، وليوال ولته، وليقتد بالائمه من بعدى، فأنهم عترتى خلقوا من طينتى، رزقوا فهماً و علماً». [٢٥٨]. روى أحمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه قول النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): «من أحبني فليحب علياً». [٢٥٩]. [صفحة ١٥٣] وأخرج أحمد فى مسنده عن الرسول: «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأُمهما، كان معى فى درجتى يوم القيامة». [٢٦٠]. وثانياً: أن الإيضاء إنما لا يفيد إذا لم يتوفر فى الموصى له ملاك الحب والود كما إذا كان الرجل محطاً للردائل الأخلاقية، وأما إذا كان الموصى له إنساناً مثالياً متحلياً بفضائل الأخلاق ومحاسنها، فإن الإيضاء به يعطف النظر إليه وبالتالي يجيش حبه كلما تعمقت الصلة به. وحاصل الكلام: أن دعوة الناس إلى الحب تقوم على إحدى دعامين: الأولى: الاشادة بفضائل المحبوب وكماله التى توجد فى نفس السامع حباً وولعاً إليه. الثانية: الإيضاء بالحب والدعوة إلى الود، فإنه يعطف نظر السامع إلى الموصى له، فكلما توطدت الأواصر بينهما وانكشفت آفاق جديدة من شخصيته ازداد الحب والود له. وعلى كالتقدير فالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المحبوب التام لعامة المسلمين، فحبه لا ينفك عن حب من أوصى بحبه وأمر بوجه. وخير ما نختم به هذا البحث حديث مروي عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) نقله صاحب الكشاف حيث قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا و من مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا و من مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، ألا و من مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف [صفحة ١٥٤] العروس إلى بيت زوجها، ألا و من مات على حب آل محمد فتح الله له فى قبره بابين إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا و من مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا و من مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيساً من رحمة الله، ألا و من مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا و من مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة». [٢٦١]. وروى أيضاً: أنه لما نزلت هذه الآية، قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال ص: «على و فاطمة وأبناهما». [٢٦٢]. [صفحة ١٥٥]

الصلوات عليهم

إنمن حقوق أهل البيت (عليهم السلام) هى الصلوات عليهم عند الصلاة على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا). [٢٦٣]. ظاهر الآية هو تخصيص الصلاة على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لكن فهمت الصحابة أن المراد هو الصلاة عليه وعلى أهل بيته، وقد تضافرت الروايات على ضم الآل إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) عند التسليم والصلاة عليه، وقد جاء ذلك فى الصحاح والمسانيد، نقصر منها على ما يلى: ١. أخرج البخارى عن عبد الرحمن بن أبى لىلى، قال: لقينى كعب بن عجرة، قال: ألا أهدى لك هدية سمعتها من النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقلت: بلى، فأهدها لى، فقال: سألتنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم، قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم [صفحة ١٥٦] وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد». [٢٦٤]. وأخرجه أيضاً فى كتاب التفسير عند تفسير سورة الأحزاب. [٢٦٥]. كما أخرجه مسلم فى باب الصلاة على النبى من كتاب الصلاة. [٢٦٦]. ٢. أخرج البخارى أيضاً، عن أبى سعيد الخدرى، قال: قلنا يا رسول الله، هذا التسليم فكيف نصلى عليك؟ قال: «قولوا: اللهم

صلّى على محمّد عبدك ورسولك، كما صلّيت على آل إبراهيم، وبارك على محمّد وعلى آل محمّد، كما باركت على إبراهيم». [٢٦٧]. ٣. أخرج البخارى، عن ابن أبى حازم عن يزيد، قال: «كما صلّيت على إبراهيم، وبارك على محمّد و آل محمّد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم». [٢٦٨]. ٤. أخرج مسلم، عن أبى مسعود الأنصارى، قال: أتانا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ونحن فى مجلس سعد بن عباد، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله تعالى أن نصلى عليك، يا رسول الله: فكيف نصلى عليك؟ قال: فسكت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى تمنينا أنه لم يسأله. ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «قولوا: اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، كما صلّيت على آل إبراهيم، وبارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على [صفحة ١٥٧] آل إبراهيم فى العالمين أنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم». [٢٦٩]. إن ابن حجر ذكر الآية الشريفة، وروى جملة من الأخبار الصحيحة الواردة فيها، وإنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قرن الصلاة على آل بالصلاة عليه، لما سئل عن كيفية الصلاة والسلام عليه، قال: وهذا دليل ظاهر على أنّ الأمر بالصلاة على أهل بيته، وبقيّة آل مراد من هذه الآية، وإلا لم يسألوا عن الصلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها ولم يجابوا بما ذكر، فلمّا أُجيبوا به دلّ على أنّ الصلاة عليهم من جملة المأمور به، وإنّ ص ذلك مقام نفسه، لأنّ القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه، ومنه تعظيمهم، ومن ثمّ لمّا أدخل من مرفى الكساء، قال: «اللهم أنهم منى وأنا منهم، فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك علىّ وعليهم»، وقضية استجابته هذا الدعاء: إنّ الله صلى عليهم معه فحينئذ طلب من المؤمنين صلاتهم عليهم معه. ويروى: لا- تصلوا على الصلاة البتراء، فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون: اللهم صلّ على محمّد وتمسكون بل قولوا: اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد. ثمّ نقل عن الإمام الشافعى قوله: يا أهل بيت رسول الله حاكم فرض من الله فى القرآن أنزله كفاكم من عظيم القدر إنكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له فقال: فيحتمل لا صلاة له صحيحة فيكون موافقاً لقوله بوجوب الصلاة على الآل، ويحتمل لا صلاة كاملة فيوافق أظهر قوله. [٢٧٠]. [صفحة ١٥٨] هذا كلّ حول الصلاة على الآل عند الصلاة على الحبيب. وأما حكم الصلاة على آل البيت فى التشهد، فقال أكثر أصحاب الشافعى: أنّه سنّة. وقال التبرجى: من أصحابه هى واجبة، ولكن الشعر المنقول عنه يدل على وجوبه عنده، ويؤيده رواية جابر الجعفى - الذى كان من أصحاب الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)، وفى طبقة الفقهاء - عن أبى جعفر عن أبى مسعود الأنصارى، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من صلى صلاة لم يصل فيها علىّ ولا أهل بيتى لم تقبل منه». [٢٧١]. وأبو جعفر الجعفى ممّن ترجمه ابن حجر فى تهذيبه، ونقل عن سفيان فى حقه: ما رأيت أروع فى الحديث منه، وقال وكيع: مهما شككتم فى شيء فلا تشكّوا فى أنّ جابراً ثقة. وقال سفيان أيضاً لشعبة: لأنّ تكلمت فى جابر الجعفى لا تكلمنّ فيك إلى غير ذلك. [٢٧٢]. قال ابن حجر: أخرج الدار قطنى والبيهقى حديث من صلى صلاة ولم يصل فيها علىّ وعلى أهل بيتى لم تقبل منه، وكأنّ هذا الحديث هو مستند قول الشافعى أنّ الصلاة على الآل من واجبات الصلاة، كالصلاة عليه ص لكنّه ضعيف، فمستنده الأمر فى الحديث المتفق عليه، قولوا: اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، والأمر للوجوب حقيقة على الأصح. [٢٧٣]. وقال الرازى: إنّ الدعاء لآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء [صفحة ١٥٩] خاتمة التشهد فى الصلاة، وقوله: اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، وارجم محمّداً وآل محمّد. وهذا التعظيم لم يوجد فى حقّ غير الآل، فكلّ ذلك يدل على أنّ حبّ آل محمّد واجب، وقال الشافعى: يا ركباً قف بالمحضّب من منى واهتف بساكن خيفها والناهض سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى أيضاً كما نظم الفرات الفائض إن كان رفضاً حبّ آل محمّد فليشهد الثقلان أنّى رافضى [٢٧٤]. وقال النيسابورى فى تفسيره عند قوله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فى القربى) كفى شرفاً لآل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفخراً ختم التشهد بذكرهم والصلاة عليهم فى كلّ صلاة. [٢٧٥]. وروى محب الدين الطبرى فى الذخائر عن جابر بن عبد الله الأنصارى (رض) عنه أنّه كان يقول: لو صلّيت صلاة لم أصلّ فيها على محمّد وعلى آل محمّد ما رأيت أنّها تقبل. [٢٧٦]. وقال المحقّق الشيخ حسن بن على السقاف: تجب الصلاة على آل النبى ص فى التشهد الأخير على الصحيح المختار، لأنّ أقصر صيغة وردت عن سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثبت فيها ذكر الصلاة على الآل، ولم ترد صيغة خالية منه فى صيغ تعليم

الصلاة، فقد تقدّم حديث سيدنا زيد بن خارجه، أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: [صفحة ١٦٠] «صَلُّوا عَلَى وَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، وَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ». [٢٧٧]. بلاغ وإنذار لقد تبين ممّا سبق كيفية الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنّه لا يصلى عليه إلّا بضم الال إليه، ومع ذلك نرى أنّه قد راجت الصلاة البتراء بين أهل السنّة فى كتبهم ورسائلهم، مع أنّ هذه البلاغات من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نصب أعينهم ولكنهم رفضوها عملاً واكتفوا بالصلاة عليه خاصّة، حتى أنّ ابن حجر الهيتمى (٨٩٩ - ٩٧٤هـ) نقل كيفية الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكن كتابه المطبوع ملئ بالصلاة البتراء. وإليك نصّ ما قال: ويروى لا تصلوا على الصلاة البتراء، قالوا: وما الصلاة البتراء، قال: تقولون: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَتَمْسُكُونَ، بل قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَلَا يَنَافِي مَا تَقَرَّرَ حَذْفُ الْآلِ فِي الصَّحِيحِينَ، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: كَيْفَ نَصَلِّي عَلَيْكَ؟ قال: قولوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كما صليت على إبراهيم إلى آخره. لأنّ ذكر الال ثبت فى روايات أخر، وبه يعلم أنّه ص قال: ذلك كلّه فحفظ بعض الرواة ما لم يحفظه الآخر. [٢٧٨]. وفى الختام نذكر ما ذكره الرازى، أنّه قال: أهل بيته ساووه فى خمسة أشياء: فى الصلاة عليه وعلينهم فى التشهد، وفى السلام، والطهارة، وفى تحريم الصدقة، وفى المحبّة. [٢٧٩]. [صفحة ١٦١]

دفع الخمس اليهم

الأصل فى ضريبة الخمس، قوله سبحانه: (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ أَمْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ...). [٢٨٠]. نزلت الآية يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان وهى غزوة بدر الكبرى، واختلف المفسرون فى تفسير الموصول فى «ما غنمتم» هل هو عام لكلما يفوز به الإنسان فى حياته، كما عليه الشيعة الإمامية، أو خاص بما يظفر به فى الحرب، وهذا بحث مهم لا نحوم حوله، لأنّه خارج عمّا نحن بصددّه، وقد أشبعنا الكلام فيه فى كتابنا «الاعتصام بالكتاب والسنّة» وأثبتنا بفضل القرآن والأحاديث النبوية أنّ الخمس يتعلّق بكلّ ما يفوز به الإنسان فى حياته، وأنّ نزول الآية فى مورد الغنائم الحربية لا يُخصّص الحكم الكلى. [٢٨١]. [صفحة ١٦٢] إنّما الكلام فى تبين مواضع الخمس، وقد قسم الخمس فى الآية إلى ستة أسهم، أعنى: لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل. فالسهمان الأولان واضحان، إنّما الكلام فى السهم الثالث ومن بعده، فالمراد من ذى القربى هم أقرباء النبي وذلك بقريته الرسول ص، وقد سبق ممّا القول فى تفسير آية المودة: أنّ تبين المراد من القربى رهن القرائن الحافّة بالآية فربما يراد منها أقرباء الناس، مثل قوله: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ). [٢٨٢]. المراد أقرباء المخاطبين، بقريته قوله: (قلتم فاعدلوا) نظير قوله: (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ ذُو الْقُرْبَىٰ) والمراد أقرباء الميت. وعلى ضوء ذلك فإذا تقدّم عليه لفظ «الرسول» يكون المراد منه أقرباء الرسول كما فى الآية (لِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ) و مثله قوله: (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ). [٢٨٣] وقوله: (فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ). [٢٨٤] فالمراد من ذى القربى هم أقرباء الرسول بقريته توجّه الخطاب إليه أعنى «فَاتِ». ومنه يعلم المراد من المساكين فى الآيتين وآية الخمس، أى مساكين ذى القربى وأيتامهم وأبناء سبيلهم. هذا هو المفهوم من الآية، وعلى ما ذكرنا فكلما يفوز به الإنسان فى مكسبه ومغنمه أو ما يفوز به فى محاربة المشركين والكافرين، يُقسم خمسه بين ستة سهام كما عرفت. [صفحة ١٦٣] ويؤيده الروايات التالية: ١. روى عن ابن عباس: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقسم الخمس على ستة: لله وللرسول سهمان وسهم لأقاربه، حتى قبض. [٢٨٥]. ٢. وروى عن أبى العالية الرياحى: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوتى بالغنيمه فيقسمها على خمسة فتكون أربعة أخماس لمن شهداها، ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه الذى قبض كفه، فيجعله للكعبة وهو سهم الله، ثم يقسم ما بقى، على خمسة أسهم: فيكون سهم للرسول، وسهم لذى القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل. قال: والذى جعله للكعبة فهو سهم الله. [٢٨٦]. وأمّا تخصيص بعض سهام الخمس بذى القربى ومن جاء بعدهم من اليتامى والمساكين وابن السبيل، فلاجل الروايات الدالة على أنّه لا تحل لهم الصدقة، فجعل لهم خمس

الخمس. أخرج الطبرى عن مجاهد، انه قال: كان آل محمد ص لا تحل لهم الصدقة فجعل لهم الخمس [٢٨٧]. و أخرج أيضاً عنه: قد علم الله أنفى بنى هاشم الفقراء فجعل لهم الخمس مكان الصدقة [٢٨٨]. كما تضافرت الروايات عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أن السهام الأربعة من الخمس، لآل محمد «(صلى الله عليه وآله وسلم)». [٢٨٩]. [صفحة ١٦٤] هذا ظاهر الآية ويا للأسف لعب الاجتهاد دوراً كبيراً فى تحويل الخمس عن أصحابه وظهرت أقوال لا- توافق النص القرآنى، وإليك مجملًا- من آرائهم: ١. قالت الشافعية و الحنابلة: تقسم الغنيمه، وهى الخمس إلى خمسة أسهم: واحد منها سهم الرسول ويصرف على مصالح المسلمين، و واحد يعطى لذوى القربى وهم من انتسب إلى هاشم بالابوة من غير فرق بين الأغنياء والفقراء، والثلاثة الباقية تنفق على يتامى والمساكين وأبناء السبيل سواء أكانوا من بنى هاشم أو من غيرهم. ٢. وقالت الحنفية: إنسهم الرسول سقط بموته، أما ذوى القربى فهم كغيرهم من الفقراء يعطون لفقيرهم لا- لقرباتهم من الرسول. ٣. وقالت المالكية: يرجع أمر الخمس إلى الإمام يصرفه حسبما يراه من المصلحة. ٤. وقالت الإمامية: إن سهم الله وسهم الرسول وسهم ذوى القربى يفوض أمرها إلى الإمام أو نائبه، يضعها فى مصالح المسلمين، والأسهم الثلاثة الباقية تعطى لآيتام بنى هاشم ومساكينهم وأبناء سبيلهم ولا يشاركهم فيها غيرهم. [٢٩٠]. ٥. وقال ابن قدامة فى المغنى بعد ما روى أنابا بكر وعمر قسما الخمس على ثلاثة أسهم: و هو قول أصحاب الرأى أبى حنيفة وجماعته، قالوا: يقسم الخمس على ثلاثة: اليتامى، والمساكين، وابن السبيل، وأسقطوا سهم رسول الله بموته وسهم قرابته أيضاً. ٦. وقال مالك: الفىء والخمس واحد يجعلان فى بيت المال. ٧. وقال الثورى: والخمس يضعه الإمام حيث أراه الله عزوجل. [صفحة ١٦٥] وما قاله أبو حنيفة مخالف لظاهر الآية فإن الله تعالى سمي لرسوله وقرابته شيئاً وجعل لهما فى الخمس حقاً، كما سمي الثلاثة أصناف الباقية، فمن خالف ذلك فقد خالف نص الكتاب، و أما جعل أبى بكر وعمر سهم ذى القربى، فى سبيل الله، فقد ذكر لأحمد فسكت وحرك رأسه ولم يذهب إليه، و رأى أن قول ابن عباس و من وافقه أولى، لموافقة كتاب الله وسنة رسوله. [٢٩١]. وقد أجمع أهل القبلة كافة على أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يختص بسهم من الخمس ويخص أقاربه بسهم آخر منه، وأنه لم يعهد بتغيير ذلك إلى أحد حتى دعاه الله إليه، واختار الله له الرفيق الأعلى. فلما ولى أبو بكر تأول الآية فأسقط سهم النبى وسهم ذى القربى بموت النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، و منع بنى هاشم من الخمس، وجعلهم كغيرهم من يتامى المسلمين ومساكينهم وأبناء السبيل منهم. قال الزمخشري عن ابن عباس: الخمس على ستة أسهم: لله ولرسوله سهمان، وسهم لأقاربه، حتى قبض فأجرى أبو بكر الخمس على ثلاثة، وكذلك روى عن عمر و من بعده من الخلفاء، قال: وروى أن أبابكر منع بنى هاشم الخمس. [٢٩٢]. وقد ارسلت فاطمة «عليها السلام»، تسأله ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقى من خمس خبير، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبى بكر فى ذلك فهجرته فلم تكلمه [صفحة ١٦٦] حتى توفيت، وعاشت بعد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها على ليلاً ولم يؤذن بها أباً بكر وصلى عليها. [٢٩٣]. وفى صحيح مسلم عن بريد بن هرمز، قال: كتب نجدة بن عامر (الحرورى الخارجى) إلى ابن عباس، قال ابن هرمز: فشهدت ابن عباس حين قرأ الكتاب وحين كتب جوابه، وقال ابن عباس: والله لولا أن أرد عن نثن يقع فيه، ما كتبت إليه ولا نعمة عين، قال: فكتب إليه إنك سألت عن سهم ذى القربى الذى ذكرهم الله من هم؟ وإنا كنا نرى أن قرابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هم نحن فأبى ذلك علينا قومنا. [٢٩٤]. [صفحة ١٦٧]

الفىء لاهل البيت

الفىء عبارة عن الغنائم التى يحصل عليها المسلمون بلا خيل ولا ركاب، فإن هذه الأموال تقع تحت تصرف الرسول بصا اعتبره رئيساً للدولة الإسلامية، وكان الفىء فى حياة الرسول ص أمراً هاماً فى تنمية الثروة فى المجتمع الإسلامى ولا سيما إنقال الثروة من يد الأغنياء إلى يد الفقراء. والأساس فيه قوله سبحانه: (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ

رُسُلُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). [٢٩٥]. (ما أفاء الله على رُسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَنْى لَا يَكُونُ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ). [٢٩٦]. بَيْنَ سَبْحَانِهِ أَحْكَامِ الْفِئَةِ، وَقَالَ: (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رُسُولِهِ مِنْهُمْ) الضمير [صفحة ١٦٨] يرجع إلى اليهود، ولكن الحكم سار على جميع الكفار. (فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا مِنْ رِكَابٍ) أى الفئء عبارة عن الأموال التى استوليتم عليها بلا إيجاف خيل ولا إبل ولم تسيروا إليها على خيل ولا إبل. هذا هو الفئء، وأما المواضع التى يصرف بها هذا الفئء فقد بَيَّنَّهَا سَبْحَانَهُ فى الآية الثانية، وقال: (ما أفاء الله على رُسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى)، أى ما ردَّ ما كان للمشركين على المسلمين بتملكك الله إياهم ذلك، (فَلِلَّهِ) و (لِلرَّسُولِ) و (لِذِي الْقُرْبَى)، فهو لله بالذات وللرسول ولذى القربى بتملكك الله إياه. والمراد من ذى القربى بقرينة الرسول أهل بيت رسول الله وقربته، و هم بنو هاشم. (واليتامى والمساكين وابن السبيل) أى منهم، بقرينة الرسول، فىكون المعنى ويتامى أهل بيته ومساكينهم وأهل السبيل منهم. وعلى ذلك فالفئء يقسم على ستة أسهم: ١. سهم لله المالك لكشئء غير محتاج لشئء، جعل نفسه قريناً لسائر الاسم تكريماً السهم. ٢. سهم الرسول و هو يؤمن بذلك حاجاته وحاجة الدولة الإسلامية. ٣. سهم ذوى القربى أى أقرباء الرسول، فيما أن الصدقة تحرم عليهم حل ذلك محلّه. ٤. سهم اليتامى. ٥. سهم المساكين. ٦. سهم أبناء السبيل. [صفحة ١٦٩] وبكلمة جامعة «الغنيمه» - كلّمَا أُخِذَ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ بِالسَّيْفِ عَنُوهُ مِمَّا يُمْكِنُ نَقْلُهُ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ، ومالا يمكن نقله إلى دار الإسلام - لجميع المسلمين ينظر فيه الإمام، و يصرف انتفاعه إلى بيت المال لمصالح المسلمين. «الفئء» - كلّمَا أُخِذَ مِنَ الْكُفَّارِ بِغَيْرِ قِتَالٍ أَوْ أَنْجِلَاءَ أَهْلِهَا - لِلنَّبِيِّ، يضعه فى المذكورين فى هذه الآية، ولمن قام مقامه من الأئمة وقد بيّنه سبْحَانَهُ فى ضمن الآيتين. [٢٩٧]. [صفحة ١٧٠]

الأنفال لأهل البيت

وردت لفظة «الأنفال» فى القرآن مرتين فى آية واحدة، قال سبْحَانَهُ: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ). [٢٩٨]. أقول: إنَّ الضرائب الواردة فى القرآن الكريم لا- تتجاوز الأربع: أ: الزكاة ومقسمها ثمانية. ب: الخمس ومقسمه هو الستة. ج: الفئء ومقسمه مقسم الخمس كما عرفت. د: الأنفال ومقسمها اثنان، وهما ما ذكر فى الآية من قوله: (لِلَّهِ وَالرَّسُولِ)، لكن الكلام فى بيان المراد من الأنفال. اختلف المفسِّرون فى تفسير الأنفال اختلافاً كثيراً، والذى يمكن أن يقال أن الأنفال من النفل و هو الزائد من الأموال، فىشمل كلَّ زائد عن حاجات الحياة، [صفحة ١٧١] و لكن السنة المروية عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فسرتة بالنحو التالى: ١. روى حفص البخترى عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «الأنفال مالٌ يوجف عليه بخيل أو ركاب، أو قوم صالحوا، أو قوم أعطوا بأيديهم، وكلَّ أرض خربة، وبطون الأودية، فهو لرسول الله، وهو للإمام بعده يضعه حيث يشاء». [٢٩٩]. ٢. وروى حماد بن عيسى عن بعض أصحابنا عن الإمام الكاظم «عليه السلام» فى حديث: «والأنفال كلُّ أرض خربة باد أهلها، وكلُّ أرض لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ولكن صالحوا صلحاً وأعطوا بأيديهم على غير قتال، وله رؤوس الجبال وبطون الأودية والآجام وكلَّ أرض ميتة لا ربَّ لها، وله صوافى الملوك ما كان فى أيديهم من غير وجه الغصب، لأنَّ الغصب كله مردود، و هو وارث من لا وارث له، يعول من لا حيلة له». [٣٠٠]. ٣. موثقة إسحاق بن عمار المروية فى تفسير القمى قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الأنفال، فقال (عليه السلام): «هى القرى التى قد خربت وانجلى أهلها، فهى لله وللرسول ص، و ما كان للملوك فهو للإمام، و ما كان من الأرض الخربة لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وكلُّ أرض لا ربَّ لها، والمعادن منها، من مات و ليس له مولى فماله من الأنفال». [٣٠١]. إلى غير ذلك من الروايات. وعلى الرواية الأولى يكون الفئء من أقسام الأنفال، ولم نجد فى تفاسير أهل السنة من يوافق الشيعة الإمامية فى تفسير الأنفال إلا شيئاً قليلاً، فقد عقد أبو [صفحة ١٧٢] إسحاق الشيرازى باباً للأنفال وفسرها بقوله: يجوز لأمير الجيش أن ينفل لمن فعل فعلاً يفضى إلى الظفر بالعدو، كالتجسس، والدلالة على طريق أو قلعة، أو التقدم بالدخول إلى دار الحرب أو الرجوع إليها بعد خروج الجيش منها. [٣٠٢]. [صفحة ١٧٣]

ترفع بيوتهم

لقد أذن الله تعالى فى ترفع البيوت التى يذكر فيها اسمه ويسبح له بالغدو والآصال فى آية مباركة، وقال: (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار). [٣٠٣]. وتفسير الآية رهن دراسة أمرين: الأول: ما هو المقصود من البيوت؟ الثانى: ما هو المراد من الرفع؟ أمّا الأول فربما قيل أن المراد من البيوت هو المساجد. قال صاحب الكشاف: (فى بيوت) يتعلق بما قبله، مثل نوره كمشكاة فى بعض بيوت الله، وهى المساجد. [٣٠٤]. ولكن الظاهر أن التفسير غير صحيح، لأن البيت هو البناء الذى يتشكل من [صفحة ١٧٤] جدران أربعة وعليها سقف قائم، فالكعبة بيت الله لأجل كونها ذات قوائم أربعة وعليها سقف، والقرآن يعز عن البيت بالمكان المسقف، ويقول: (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لئيبوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون). [٣٠٥]. فالمستفاد من الآية أن البيت لا ينفك عن السقف، هذا من جانب. ومن جانب آخر: لا يشترط فى المساجد وجود السقف، هذا هو المسجد الحرام تراه مكشوفاً تحت السماء ودون سقف يظله. وقد ورد لفظ البيوت فى القرآن الكريم (٣٦ مرة) بصور مختلفة، واستعمل فى غير المسجد، يقول سبحانه: (طهراً يبتى للطائفين والعاكفين والركع السجود). [٣٠٦]. (وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ). [٣٠٧]. إلى غير ذلك من الآيات، فكيف يمكن تفسيره بالمساجد؟ وبما أن جميع المساجد ليس على هذا الوصف، التجأ صاحب الكشاف بإقحام كلمة «بعض»، وقال: فى بعض بيوت الله وهى المساجد، وهو كما ترى، وهناك حوار دار بين قتادة فقيه البصرة وأبى جعفر الباقر (عليه السلام) يؤيد ما ذكرنا. حضر قتادة فى مجلس الإمام أبى جعفر الباقر (عليه السلام) فقال له الإمام: من أنت؟ قال: أنا قتادة بن دعامة البصرى. فقال أبو جعفر: أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: نعم. قال قتادة: أصلحك الله، ولقد جلست بين يدى الفقهاء وقدام ابن عباس فما اضطرب قلبى قدام واحد منهم، ما اضطرب قدامك! [صفحة ١٧٥] فقال أبو جعفر (عليه السلام): ما تدري أين أنت؟ أنت بين يدى (بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) ونحن أولئك. فقال له قتادة: صدقت، والله جعلنى فداك، والله ما هى بيوت حجارة ولا طين. [٣٠٨]. ويؤيد ما رواه الصدوق فى الخصال عن النبیص: ان الله اختار فى البيوتات أربعة ثم قرأ هذه الآية: (إن الله اضبطنى آدم ونوحاً و آل إبراهيم و آل عمران للعالمين ذريةً بعضها من بعض). [٣٠٩] [٣١٠]. وعلى هذا الحوار فالمراد من البيت، بيت الوحي وبيت النبوة، ومن يعيش فى هذه البيوت من رجال لهم الأوصاف المذكورة فى الآية الكريمة. هذا كله حول الأمر الأول. وأمّا الأمر الثانى، أعنى ما هو المراد من الرفع؟ فيحتمل وجهين: الأول: أن يكون المراد الرفع المادى الظاهرى الذى يتحقق بإرساء القواعد وإقامة الجدار والبناء، كما قال سبحانه: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ). [٣١١] وعلى هذا تدل الآية على جواز تشييد بيوت الأنبياء والأولياء وتعميرها فى حياتهم بعد مماتهم. الثانى: أن يكون المراد الرفع المعنوى والعظمة المعنوية، وعلى هذا تدل الآية بتكریم تلك البيوت وتبجيلها وصيانتها وتطهيرها مما لا يليق بشأنها. [صفحة ١٧٦] قال الرازى: المراد من رفعها، بنائها لقوله تعالى: (رَفَعَ سَمَكُهَا وَفَسَّوَاهَا) [٣١٢] و ثانيها (ترفع) أى تعظم. [٣١٣]. هذا كله حسب ما تدل عليه الآية، وأمّا بالنظر إلى الروايات فنذكر منها ما يلى: ١. روى الحافظ السيوطى عن أنس بن مالك و بريدة، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قرأ قوله تعالى: (فى بيوت أذن الله أن ترفع) فقام إليه رجل وقال: أى بيوت هذه يا رسول الله؟ فقال ص: بيوت الأنبياء. فقام إليه أبو بكر وقال: يا رسول الله، وهذا البيت منها؟ وأشار إلى بيت على و فاطمة (عليهما السلام). فقال النبيص: نعم من أفاضلها. [٣١٤]. ٢. روى ابن شهر آشوب عن تفسير مجاهد و أبى يوسف، يعقوب بن سفين، قال ابن عباس فى قوله تعالى: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا): إندحية الكلبي جاء يوم الجمعة من الشام بالميرة، فنزل عند احجار الزيت، ثم ضرب بالطبول ليؤذن الناس بقدومه، فمضوا الناس إليه الأعلى والحسن والحسين و فاطمة (عليهم السلام) وسلمان وأبو ذر والمقداد وصهيب، وتركوا النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)

قائماً يخطب على المنبر، فقال النبيص: قد نظر الله يوم الجمعة إلى مسجدي فلولا هؤلاء الثمانية الذين جلسوا فى مسجدي لأضمرت [صفحة ١٧٧] المدينة على أهلها ناراً، وحُصِّبوا بالحجارة كقوم لوط، ونزل فيهم رجال لا تلهيهم تجارة. [٣١٥]. وقد وصف الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) هؤلاء الرجال الذين يسبحون فى تلك البيوت؛ عند تلاوته: (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله): وإن للذكر لاهلاً أخذوه من الدنيا بدلاً، فلم يشغلهم تجارة ولا بيع عنه، يقطعون به أيام الحياة، ويهتفون بالزواج عن محارم الله فى أسمع الغافلين، ويأمرون بالقسط ويأتمرون به، وينهون عن المنكر ويتناهون عنه فكأنما قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها، فشهدوا ما وراء ذلك، فكأنما أطلعوا غيوب أهل البرزخ فى طول الإقامة فيه، وحققَت القيامة عليهم عِدَاتُهَا، فكشفوا غطاء ذلك لاهل الدنيا، حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس ويسمعون ما لا يسمعون. [٣١٦]. [صفحة ١٧٨]

اهل البيت فى كلام الامام على

إلى هنا تم ما أردنا استعراضه من سماتهم وحقوقهم فى القرآن الكريم، ولو حاول الباحث أن يستعرض أوصافهم وخصوصياتهم الواردة فى الأحاديث النبوية لاحتاج إلى تأليف مفرد، و بما أن محور بحثنا هو القرآن الكريم اقتصرنا على ذلك، وهذا لا يمنعنا أن نذكر ما روى عن على (عليه السلام) فى ذلك المجال: ١. يقول فى حقهم: «...فإنهم عيش العلم، وموت الجهل، هم الذين يُخبركم حكمهم عن علمهم، وصيحتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين، ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق، وصامت ناطق». [٣١٧]. ٢. وفى خطبة أخرى: «لا يقاس بآل محمد ص من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد القين، إليهم يفى الغالى، وبهم يلحق التالى، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثه، الآن إذا رجع الحق إلى أهله، ونقل إلى منتقله». [٣١٨]. [صفحة ١٧٩] ٣. وقال (عليه السلام): «نحن الشعار والأصحاب، والخزنة والأبواب، ولا توتى البيوت إلا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها شىء سارقاً». فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا. [٣١٩]. ٤. وقال (عليه السلام): «ألا إن مثل آل محمد ص، كمثل نجوم السماء: إذا خوى نجم، طلع نجم، فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع، وأراكم ما كنتم تأملون». [٣٢٠]. ٥. وقال (عليه السلام): «ألا وإن لكل دم ثائراً، ولكل حق طالباً وإن الثائر فى دماننا كالحاكم فى حق نفسه، وهىو الله الذى لا يعجزه من طلب، ولا يفوته من هرب». [٣٢١]. ٦. وقال (عليه السلام): «أيها الناس، خذوها عن خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله وسلم): إنه يموت من مات منا وليس بميت، ويلى من بلى منا وليس ببال، فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإن أكثر الحق فيما تنكرون، واعذروا من لا حجة لكم عليه - و هو أنا - ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر، وأترك فيكم الثقل الأصغر، قد ركزت فيكم راية الإيمان، ووقفتم على حدود الحلال والحرام، وألبستكم العافية من عدلى، وفرشتكم المعروف من قولى وفعلى، وأريتم كرائم الأخلاق من نفسى، فلا تستعملوا الرأى فيما لا يدرى قعره البصر، ولا تغفل إليه الفكر». [٣٢٢]. إلى غير ذلك الكلمات الناصعة فى خطبه ورسائله وقصار كلمه مما نقله [صفحة ١٨٠] الرضى فى «نهج البلاغة» وغيره فى الكتب الحديثية والتاريخية، ولنقتصر على ذلك فإن الإفاضة فى القول فى هذا المضمار يوجب الإطالة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين جعفر السبحانى قم - مؤسسه الإمام الصادق (عليه السلام) فى صبيحة يوم الثلاثاء الموافق ١٢ من شهر رمضان المبارك من شهور عام ١٤٢٠ هـ

باورقى

[١] الأحزاب: ٢٨. [٢] الأحزاب: ٣٠. [٣] الأحزاب: ٣٢. [٤] الأحزاب: ٣٣. [٥] التحريم: ١. [٦] التحريم: ٤. [٧] التحريم: ٥. [٨] هود: ٧٣. [٩] الأحزاب: ٣٣. [١٠] هود: ٧٢. [١١] انظر سورة الأحزاب، الآيات: ٢٨ - ٣٤. [١٢] لسان العرب: ١١-٢٩، مادة «أهل». [١٣] معجم مقاييس اللغة: ١-١٥٠. [١٤] المفردات: ٢٩. [١٥] القاموس المحيط: ٣-٣٣١. [١٦] هود: ٧٣. [١٧] القصص: ٣٠. [١٨] الشيعة وأهل

البيت: ١٦ - ١٧. [١٩] وهناك أقوال أخر شاذة جداً ستوافيك فى مختتم البحث. [٢٠] العصر: ٢. [٢١] التوبة: ٧٣. [٢٢] المعارج: ١٩. [٢٣] هود: ٧٣. [٢٤] الكشف: ١٠٧-٢. [٢٥] النور: ٣٦-٣٧. [٢٦] الكافى: ٢٥٦-٢٥٧. [٢٧] الأحزاب: ٣٢. [٢٨] الأحزاب: ٣٣. [٢٩] الأحزاب: ٣٤. [٣٠] جامع الأحكام: ١٤-١٨٢. [٣١] واجمال الحديث وابهامه يرتفع بالرجوع إلى سائر ما روى عن أم سلمة فى ذلك المضممار. [٣٢] لاحظ للوقوف على مصادر هذه الروايات تفسير الطبرى: ٢٢-٥ - ٧، والدر المنثور: ٥-١٩٨ - ١٩٩. [٣٣] آل عمران: ٦١. [٣٤] راجع للوقوف على هذه المآثورات جامع الأصول لابن الأثير: ١٠ - ١٠٠ - ١٠٣، وصحيح مسلم: ٧-١٢٢ - ١٢٣. [٣٥] حَقَّق ٨؛ والدر المنثور فى التفسير بالمآثور للسيوطى: ٥-١٩٨؛ وأسباب النزول للواحدي: ٢٠٤. [٣٨] شواهد التنزيل: ٢-٣٠. [٣٩] تنزيل الآيات: ٢٤ «مخطوط» منه نسخة فى جامعة طهران. لاحظ إحقاق الحق: ١٤-٥٣. [٤٠] آية التطهير فى حديث الفريقين. [٤١] هو نجدة بن عامر الحرورى الحنفى من بنى حنيفة رأس الفرقة النجديّة، انفرد عن سائر الخوارج بأرائه. [٤٢] هم فرقة من الخوارج أتباع زياد بن الأصفر. [٤٣] هم أتباع عبد الله بن أباض، رأس الأباضية. [٤٤] فرقة من الصفريّة أصحاب أبى بيهس هيصم بن جابر الضبغى رأس الفرقة البيهسية من الخوارج. [٤٥] لاحظ سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥-١٨ - ٢٢. [٤٦] ميزان الاعتدال: ٣-٩٣ - ٩٧. [٤٧] شرح النهج لابن أبى الحديد: ٤-١٠٢؛ وراجع سير أعلام النبلاء: ٤-٤٢١ - ٤٣٧ ما يدل على كونه من بغاة الدنيا وطالبيها، وقد بنى قصرًا فى العقيق وأنشد شعراً فى مدحه، وكان مقرباً لدى الأمويين خصوصاً عبد الملك بن مروان. [٤٨] التعطيل: هو أن لا تثبت لله الصفات التى وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) والتشبيه: أن يُشَبَّه الله سبحانه وتعالى بأحد من خلقه. [٤٩] سير أعلام النبلاء: ٧-٢٠٢. [٥٠] ميزان الاعتدال: ٤-١٧٢ - ١٧٥. [٥١] نقل السيوطى عن ابن الحصار: إن ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحى كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: ضعوا آية كذا فى موضع كذا. لاحظ الإتيان: ١-١٩٤، الفصل الثامن عشر فى جمع القرآن وترتيبه من طبعة مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. [٥٢] لاحظ: ٣٨٩ - ٤٠٢ من هذا الجزء. [٥٣] مجمع البيان: ٤-٣٥٧. [٥٤] تفسير المنار: ٢-٤٥١. [٥٥] الكاشف: ٦-٢١٧. [٥٦] يوسف: ٢٨ - ٢٩. [٥٧] النور: ٢٦. [٥٨] إحقاق الحق: ٢-٥٧٠. [٥٩] دلائل الصدق: ٢-٧٢. [٦٠] الأحزاب: ٣٣. [٦١] الأحزاب: ٣٤. [٦٢] الميزان: ١٦-٣٣٠. [٦٣] سورة المائدة: ٣. [٦٤] سورة المائدة: ٣. [٦٥] سورة المائدة: ٣. [٦٦] المائدة: ٥٥. [٦٧] المراجعات: المراجعة: ٤٢ ص ١٦٦. [٦٨] لاحظ فى الوقوف على هذه الأقوال تفسير الطبرى: ٢٢-٥ - ٧؛ وتفسير القرطبي: ١٤-١٨٢؛ ومفاتيح الغيب للرازى: ٦-٦١٥؛ والكشاف: ٢-٥٣٨؛ وغيرها. [٦٩] هود: ٧٣. [٧٠] القصص: ١٢. [٧١] الخلاف: ٢-٢٢٧، المسألة ٤ كتاب الوقوف والصدقات. [٧٢] لاحظ ص ٣٩٨، الحديث ٣٥. [٧٣] مفاتيح الغيب: ٦-٦١٥. [٧٤] أنوار التنزيل: ٤-١٦٢. [٧٥] تفسير المراغى: ٢٢-٧. [٧٦] السيرة النبوية: ٢-٤٠١. [٧٧] النحل: ٤٤. [٧٨] الغدير: ٢-١١٥. [٧٩] الغدير: ٢-١٩١. [٨٠] الغدير: ٢-٢٩٠ - ٣٢٦. [٨١] الغدير: ٢-٣٠٣. [٨٢] الغدير: ٢-٣١٠ - ٣١١، نقلاً عن الفصول: ١٣. [٨٣] الغدير: ٢-٣١١، نقلاً عن نور الأبصار: ١٣. [٨٤] الغدير: ٢-٣١٧. [٨٥] الغدير: ٢-٣٨١ - ٣٨٢. [٨٦] الغدير: ٢-٣٨١ - ٣٨٢. [٨٧] الغدير: ٣-٦٦. [٨٨] الغدير: ٣-١٧٣. [٨٩] الغدير: ٣-٢٣٣. [٩٠] الغدير: ٣-٣٩١. [٩١] الغدير: ٣-٣٩٦. [٩٢] الغدير: ٤-٢٥. [٩٣] الغدير: ٤-٣٥. [٩٤] الغدير: ٤-٣٨. [٩٥] الغدير: ٤-٦٠. [٩٦] الغدير: ٤-٨٩. [٩٧] الغدير: ٤-٣. [٩٨] الغدير: ٤-١٧. [٩٩] الغدير: ٤-٢٢٢ و ٢٢٥. [١٠٠] الغدير: ٤-٢٢٧. [١٠١] الغدير: ٤-٢٢٨. [١٠٢] الإتحاف بحب الأشرف: ٩٩. [١٠٣] الإتحاف بحب الأشرف: ١٠٠ و ١٠١. [١٠٤] الإتحاف بحب الأشرف: ١٠٠ و ١٠١. [١٠٥] الإتحاف بحب الأشرف: ١٠٦ - ١٠٩. [١٠٦] الأنعام: ٩٠. [١٠٧] معجم مقاييس اللغة: ٢-٤٩٠. [١٠٨] لسان العرب: ٦-٩٤ - ٩٥، مادة «رجس». [١٠٩] المائدة: ٩٠. [١١٠] الأنعام: ١٤٥. [١١١] الأنعام: ١٢٥. [١١٢] آل عمران: ٤٢. [١١٣] التوبة: ١٠٨. [١١٤] التوبة: ١٢٥. [١١٥] الأنعام: ١٢٥. [١١٦] الميزان: ١٦-٣٣٠. [١١٧] يس: ٨٢. [١١٨] المائدة: ٦. [١١٩] مجمع البيان: ٤-٣٥٧ تفسير سورة الأحزاب؛ وقريب منه ما أفاده الشيخ الطوسى فى تبيانه: ٨-٣٤٠. [١٢٠] رياض السالكين: ٤٩٧، الروضة السابعة والأربعون، وقد نقلنا عن الطبرسى ما يقرب منه. [١٢١] القصص: ٥.

[١٢٢] [الأنفال: ٧. [١٢٣] المائدة: ٤١. [١٢٤] يس: ٨٢. [١٢٥] الأنعام: ٣٥. [١٢٦] الحشر: ٥. [١٢٧] فى ظلال القرآن، فى تفسير سورة الأحزاب. [١٢٨] الأحزاب: ٣٣. [١٢٩] الصراط المستقيم: ١-١٨٤. [١٣٠] النساء: ٢٦. [١٣١] النساء: ٢٧. [١٣٢] النساء: ٢٨. [١٣٣] النساء: ٢٦. [١٣٤] مريم: ٩٦. [١٣٥] المناقب لابن شهر آشوب: ٣ - ٣٨٣؛ سفينة البحار: مادة حب: ١ - ٤٩٢. [١٣٦] سنن الترمذى: ٥ - ٦٣٥ برقم ٣٧١٧؛ حلية الأولياء: ٦ - ٢٩٥. [١٣٧] أسنى المطالب: ٥٤، تحقيق محمد هادى الأمينى. [١٣٨] بحار الأنوار: ٤٥-١٣٨. [١٣٩] تفسير الفخر الرازى: ٣٢-١٢٤. [١٤٠] تفسير الفخر الرازى: ٣٢ - ١٢٤. [١٤١] سفينة البحار: ١ - ٤٩٦، مادة حب. [١٤٢] غافر: ٦٠. [١٤٣] آل عمران: ٦٥. [١٤٤] المنافقون: ٥. [١٤٥] يوسف: ٩٧. [١٤٦] آل عمران: ٥٩. [١٤٧] الزمخشري: الكشف: ١-٣٢٦-٣٢٧، ط عام ١٣٦٧هـ [١٤٨] العمدة: ٢٤٣. [١٤٩] صحيح مسلم: ٧-١٢٠، باب فضائل على بن أبى طالب (عليه السلام). [١٥٠] إشارة إلى ما روى أن الرضا باب الله الأعظم. [١٥١] شرح منظومة السبزواري: ٣٥٢. [١٥٢] نهج البلاغة: الخطبة ٣. [١٥٣] البقرة: ٢٠٧. [١٥٤] شواهد التنزيل: ١-١٣٠؛ أسد الغابة: ٤-٢٥. [١٥٥] سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص: ٢٥، ط عام ١٤٠١هـ [١٥٦] الغدير: ٢-٤٨. [١٥٧] لاحظ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ٤-٧٣. [١٥٨] الحشر: ٩. [١٥٩] البقرة: ٢٧٠. [١٦٠] الحج: ٢٩. [١٦١] النور: ٣٧. [١٦٢] الرعد: ٢١. [١٦٣] الإنسان: ٧ - ١٠. [١٦٤] الكشف: ٣-٢٩٧؛ تفسير الفخر الرازى: ٣٠-٢٤٤. [١٦٥] الدر المنثور: ٨-٣٧١، تفسير سورة الإنسان. [١٦٦] ابن البطريق: العمدة: ٢-٤٠٧-٤١٠. [١٦٧] شواهد التنزيل للحافظ الحاكم الحسكاني: ٢-٤٠٥ - ٤٠٨؛ أسد الغابة: ٥-٥٣٠؛ مناقب ابن المغازلى: ٢٧٢. [١٦٨] البقرة: ١٧٧. [١٦٩] البيهقي: ٧. [١٧٠] تفسير الطبرى: ٣٠-١٤٦. [١٧١] المناقب للخوارزمي: ٦٦. [١٧٢] المناقب للخوارزمي: ١٧٨. [١٧٣] الفصول: ١٢٢. [١٧٤] فاطر: ٣١ - ٣٢. [١٧٥] النمل: ٥٩. [١٧٦] البرهان فى تفسير القرآن: ٣-٣٦٣. [١٧٧] صحيح مسلم: ٤-١٨٧٣ برقم ٢٤٠٨، ط عبد الباقي. [١٧٨] مسند أحمد: ١-١١٨. [١٧٩] جامع أحاديث الشيعة: ١-١٣١-١٣٢. [١٨٠] المراجعات: المراجعة رقم ٨. [١٨١] التوبة: ١٠٣. [١٨٢] المغنى: ٢-٥٤٧. [١٨٣] بلوغ المرام: ١٢٩، برقم ٦٦٥. [١٨٤] بلوغ المرام: ١٢٩، برقم ٦٦٥. [١٨٥] التاج الجامع للأصول: ٢-٣٠-٣١، ط الثانية. [١٨٦] التاج الجامع للأصول: ٢-٣٠-٣١، ط الثانية. [١٨٧] التاج الجامع للأصول: ٢-٣٠-٣١، ط الثانية. [١٨٨] التاج الجامع للأصول: ٢-٣٠-٣١، ط الثانية. [١٨٩] التاج الجامع للأصول: ٢-٣٠-٣١، ط الثانية. [١٩٠] التاج الجامع للأصول: ٢-٣٠-٣١، ط الثانية. [١٩١] المائدة: ٥٥. [١٩٢] تفسير الطبرى: ٦-١٨٦. [١٩٣] أحكام القرآن: ٢-٥٤٢. [١٩٤] معرفه أصول الحديث: ١٠٢. [١٩٥] أسباب النزول: ١١٣. [١٩٦] الكشف: ١-٤٦٨. [١٩٧] الأحزاب: ٦. [١٩٨] التوبة: ٧١. [١٩٩] المائدة: ٥٦. [٢٠٠] النساء: ٥٩. [٢٠١] الأحزاب: ٣٦. [٢٠٢] النساء: ١٠٥. [٢٠٣] النور: ٦٣. [٢٠٤] مناقب الخوارزمي: ١٧٨؛ كفاية الطالب للكنجى: ٢٠٠؛ تذكرة ابن الجوزى: ٢٥. [٢٠٥] الصفات: ٢٤. [٢٠٦] شواهد التنزيل للحسكاني: ٢-١٠٦. [٢٠٧] الصواعق المحرقة: ١٤٩. [٢٠٨] مضى الأول: ٢٤٥. [٢٠٩] المائدة: ٣. [٢١٠] راجع مفاهيم القرآن: الجزء العاشر. [٢١١] النساء: ٥٩. [٢١٢] مجمع البيان: ٣-١٠٠. [٢١٣] التفسير الكبير: ١-١١٤. [٢١٤] العنكبوت: ٨. [٢١٥] الميزان: ٤-٣٩١. [٢١٦] الحاكم: المستدرک: ٣-١٥١ أخرجه مسنداً إلى أبى ذر. [٢١٧] المناقب لابن شهر آشوب: ١-٥/١٥، ط المطبعة العلمية. [٢١٨] البرهان فى تفسير القرآن: ١-٣٨١. [٢١٩] الشورى: ١٠٩. [٢٢٠] الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠. [٢٢١] الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠. [٢٢٢] الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠. [٢٢٣] الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠. [٢٢٤] الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠. [٢٢٥] هود: ٢٩. [٢٢٦] هود: ٥١. [٢٢٧] الأنعام: ٩٠. [٢٢٨] الشورى: ٢٣. [٢٢٩] الأنعام: ٩٠. [٢٣٠] سبأ: ٤٧. [٢٣١] الفرقان: ٥٧. [٢٣٢] فصلت: ١ - ٥. [٢٣٣] السيرة النبوية: ١-٢٩٣-٢٩٤. [٢٣٤] تصحيح الاعتقاد: ٦٨. [٢٣٥] سفينة البحار: مادة حَبَّ. [٢٣٦] أخرجه الحاكم فى مستدرکه: ٣-١٤٨، وقال: هذا حديث صحيح الاسناد على شرط الشيخين. ولم يخرجاه، وأخرجه الذهبى فى تلخيص المستدرک معترفاً بصحته على شرط الشيخين قلت: هذا حديث متواتر وقد أُلّف غير واحد من المحققين رسائل حوله. [٢٣٧] مريم: ٦٢. [٢٣٨] الحجر: ٣٠ - ٣١. [٢٣٩] تصحيح الاعتقاد: ٦٨. [٢٤٠] سبأ: ٤٧. [٢٤١] الفرقان: ٥٧. [٢٤٢] الكشف: ٣-٨١ فى تفسير الآية. [٢٤٣] البقرة: ٨٣. [٢٤٤] البقرة: ١٧٧. [٢٤٥] التوبة: ١١٣. [٢٤٦] مضى السؤال الأول: ٢٥٨. [٢٤٧] التوبة: ١١٣. [٢٤٨] الأنعام: ١٥٢. [٢٤٩] الحشر: ٧. [٢٥٠] شرح ابن

أبي الحديد: ١٨-٤١٦. [٢٥١] انظر الكشف: ٣-٨١؛ تفسير الرازي: ٧-٦٥٥؛ تفسير أبي السعود في هامش تفسير الرازي نفس الصفحة؛ تفسير أبي حيان: ٧-٥١٦؛ تفسير النيسابوري: ٦-٣١٢. وأما من المحدثين كمجمع الزوائد للهيتمي: ٩-١٦٨؛ الصواعق المحرقة: ١٠١-١٣٥، والزرقاني في شرح المواهب: ٧-٩٢١ و [٢٥٢] تاريخ القرآن: ٥٧. [٢٥٣] المجادلة: ٢٢. [٢٥٤] مسند أحمد: ٤-٢٧٠. [٢٥٥] سفينة البحار: ٢-١١ مادة الحب. [٢٥٦] نهج البلاغة: قسم الرسائل: الرسالة ٥٣. [٢٥٧] تاريخ بغداد: ٤-٤١٠. [٢٥٨] حلية الأولياء: ١-٨٦. [٢٥٩] مسند أحمد: ٥-٣٦٦؛ صحيح مسلم: ج كتاب الفتن: ١١٩. [٢٦٠] مسند أحمد: ١-٧٧. [٢٦١] الكشف: ٣-٨٢، تفسير سورة الشورى، ط عام ١٣٦٧. [٢٦٢] الكشف: ٣-٨١. [٢٦٣] الأحزاب: ٥٦. [٢٦٤] صحيح البخاري: ٤-١٤٦ ضمن باب «يزفون النسلان في المشي» من كتاب بدء الخلق. [٢٦٥] صحيح البخاري: ٦-١٥١ تفسير سورة الأحزاب. [٢٦٦] صحيح مسلم: ٢-١٦. [٢٦٧] صحيح البخاري: ٦-١٥١، تفسير سورة الأحزاب. [٢٦٨] المصدر السابق. [٢٦٩] صحيح مسلم: ٢-٤٦، باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد التشهد من كتاب الصلاة. [٢٧٠] الصواعق المحرقة: ١٤٦، ط عام ١٣٨٥ هـ [٢٧١] سنن الدارقطني: ١-٣٥٥. [٢٧٢] تهذيب التهذيب: ٢-٤٦. [٢٧٣] الصواعق المحرقة: ٢٣٤، ط الثانية، عام ١٣٨٥ هـ [٢٧٤] تفسير الفخر الرازي: ٢٧-١٦٦، تفسير سورة الشورى. [٢٧٥] تفسير النيسابوري: تفسير سورة الشورى. [٢٧٦] ذخائر العقبى: ١٩، ذكر الحث على الصلاة عليهم. [٢٧٧] صحيح صفة صلاة النبي: ٢١٤. [٢٧٨] الصواعق المحرقة: ١٤٦، ط الثانية، عام ١٣٨٥ هـ. [٢٧٩] الغدير: ٢-٣٠٣، ط طهران نقله عن تفسير الرازي: ٧-٣٩١ ولم نعث عليه في الطبعين. [٢٨٠] الأنفال: ٤١. [٢٨١] الاعتصام بالكتاب والسنة: ٩١-١٠٥. [٢٨٢] الأنعام: ١٥٢. [٢٨٣] الحشر: ٧. [٢٨٤] الروم: ٣٨. [٢٨٥] تفسير النيسابوري: ١٠-٤، المطبوع بهامش الطبري. [٢٨٦] تفسير الطبري: ١٠-٤؛ أحكام القرآن: ٣-٦٠. [٢٨٧] الظاهر زيادة لفظ «خمس» بقرينة ما نقله ثانياً عن مجاهد. [٢٨٨] تفسير الطبري: ١٠-٥. [٢٨٩] الوسائل: ٦-الباب ٢٩ من أبواب المستحقين للزكاة. [٢٩٠] الفقه على المذاهب الخمسة: ١٨٨. [٢٩١] الشرح الكبير على هامش المغنى: ١٠-٤٩٣-٤٩٤. [٢٩٢] الكشف: ٢-١٢٦. [٢٩٣] صحيح البخاري: ٣-٣٦ باب غزوة خيبر. [٢٩٤] صحيح مسلم: ٢-١٠٥، كتاب الجهاد و ١٦٧ السير، باب النساء الغازيات. [٢٩٥] الحشر: ٦. [٢٩٦] الحشر: ٧. [٢٩٧] التبيان: ٩-٥٦٤. [٢٩٨] الأنفال: ١. [٢٩٩] وعلى هذا يكون الفء قسماً من الأنفال. [٣٠٠] وسائل الشيعة: ٦، الباب الأول من أبواب الأنفال، الحديث ١، ٤، ٢٠. [٣٠١] وسائل الشيعة: ٦، الباب الأول من أبواب الأنفال، الحديث ١، ٤، ٢٠. [٣٠٢] المهذب في فقه الإمام الشافعي: ٢-٢٤٣. [٣٠٣] النور: ٣٦-٣٧. [٣٠٤] الكشف: ٢-٣٨٩. [٣٠٥] الزخرف: ٣٣. [٣٠٦] البقرة: ١٢٥. [٣٠٧] الأحزاب: ٣٤. [٣٠٨] البرهان في تفسير القرآن: ٣-١٣٨. [٣٠٩] آل عمران: ٣٣-٣٤. [٣١٠] الخصال: ١-١٠٧. [٣١١] البقرة: ١٢٧. [٣١٢] النازعات: ٢٨. [٣١٣] تفسير الفخر الرازي: ٢٤-٣. [٣١٤] تفسير الدر المنثور: ٥-٥٠. [٣١٥] البرهان في تفسير القرآن: ٣ / ١٣٩. [٣١٦] نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٢. [٣١٧] نهج البلاغة: الخطبة ١٤٧. [٣١٨] نهج البلاغة: الخطبة ٢. [٣١٩] نهج البلاغة: الخطبة ١٥٤. [٣٢٠] نهج البلاغة: الخطبة ١٠٠. [٣٢١] نهج البلاغة: الخطبة ١٠٥. [٣٢٢] نهج البلاغة: الخطبة ٨٧.

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١). قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا - عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - فِي تَلْخِصِ بَحَارِ الْأَنْوَارِ، لِلْعَلَامَةِ فَيضِ الْإِسْلَامِ، ص ١٥٩؛ عَيُونُ أَخْبَارِ الرِّضَا (ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الْبَابُ ٢٨، ج ١ / ص ٣٠٧). مُؤَسَّسُ مُجْتَمَعِ "الْقَائِمِيَّةِ" الثَّقَافِيِّ بِأَصْبَهَانَ - إِيرَانَ: الشَّهِيدُ آيَةُ اللَّهِ "الشَّمْسُ آبَادِي" - "رَحِمَهُ اللَّهُ" - كَانَ أَحَدًا مِنْ جُهَابِذَةِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ، الَّذِي قَدْ اشتهَرَ بِشَعْفِهِ بِأَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) وَلا سِيَّما بِحَضْرَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا (عليه السَّلَام) وَبِسَاحَةِ صَاحِبِ الزَّمَانِ (عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ)؛ وَلهَذَا أَسَّسَ مَعَ نَظَرِهِ وَدِرَايَتِهِ، فِي سَنَةِ ١٣٤٠ الْهَجْرِيَّةِ الشَّمْسِيَّةِ (= ١٣٨٠ الْهَجْرِيَّةِ الْقَمَرِيَّةِ)، مُؤَسَّسَةً وَطَرِيقَةً لَمْ يَنْطَفِئْ مِصْبَاحُهَا، بَلْ تَتَّبَعُ بِأَقْوَى وَأَحْسَنِ مَوْقِفٍ كُلِّ يَوْمٍ. مَرْكَزُ "الْقَائِمِيَّةِ" لِلتَّحْرِي الْحَاسُوبِيِّ -

بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه... الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافة الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرر الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلاييه المبتدله أو الرديئه - في المحاميل (=الهواتف المنقوله) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعه جامعته ثقافيه على أساس معارف القرآن و اهل البيت - عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواء برامج العلوم الإسلاميه، إناله منابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعه، و... - منها العداله الاجتماعيه: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الإيرانيه - في أنحاء العالم - من جهه أخرى. - من الأنشطة الواسعه للمركز: الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (=بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و... د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عده مواقع أخره) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية و) الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤) ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيره SMS ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و... ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركون في الجلسه ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربيه المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه المكتب الرئيسى: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيد" "ما بين شارع "پنج رمضان" و مفترق "وفائى" /بنايه" القائمية "تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) رقم التسجيل: ٢٣٧٣ الهويه الوطنيّه: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦ الموقع: www.ghaemiyeh.com البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ - (٠٠٩٨٣١١) الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١) مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١) التجاريه و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠١٠٩ امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١) ملاحظه هامه: الميزانيه الحاليه لهذا المركز، شعبيه، تبرعيه، غير حكوميه، و غير ربحيه، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - فى حدّ التمكن لكل احد منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولى التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للإيحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩